الأثر الحربى للبنية الدفاعية فى الأندلس عصر بنى الأحمر

(٦٣٥-٨٩٧هـ/١٢٣٨-١٤٩٢م)

د. حسام محمود المحلاوى

مدرس التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية

كلية الآداب – جامعة دمياط

المقدمة :

بعد أن حل الضعف بدولة الموحدين فى بلاد المغرب والأندلس ، قامت عدة دول على أنقاض أملاكها الواسعة ، وكانت مملكة غرناطة ،آخر الممالك الإسلامية فى بلاد الأندلس ، ورثت بعضاً من أملاكها الأندلسية ، وقد فرضت الظروف السياسية على هذه المملكة الوليدة أن تحمل مهمة الدفاع عن بلاد الأندلس بصفة عامة ووجودها بصفة خاصة ، ومن هنا اتسم عمر هذه المملكة الذى قارب القرنين ونصف – منذ قيامها فى عام ٦٣٥هـ/١٢٣٨م وحتى سقوطها فى أيدى القوى المسيحية فى عام ٨٩٧هـ/١٤٩٢م – بالحياة الحربية ، للدفاع عن أملاكها تارة ، والهجوم كرد فعل على هجوم معادى تارة ، والهجوم بشن الغارات لتأمين الحدود تارة أخرى .

وعلى الجانب الآخر كانت الممالك النصرانية المجاورة لها – والمتمثلة فى ثلاث ممالك قوية قشتالة ، وأراجون ، والبرتغال – تتحين الفرصة من حين للآخر للانقضاض عليها والاستيلاء على أملاكها ، وقد سعت الممالك الثلاث وبخاصة قشتالة لطرد المسلمين نهائيًا من بلاد الأندلس ، وهو ما تحقق لها فى عام ٨٩٧هـ/ ١٤٩٢م .

وقد فرضت هذه الطبيعة الجغرافية والسياسية على النحو سالف الذكر على بنى الأحمر ملوك غرناطة توجيه سياستهم بشكل مباشر للجانب الحربى ، من حيث الإنفاق لتحصين البلاد ضد أى هجمات خارجية قد تسعى للنيل منها بشكل مباشر. ومن هنا يمكن القول: إن حجم الإنفاق العسكرى كان فى هذه الفترة أكثر

بكثير من حجم الإنفاق بالنسبة لدول سبقتها فى حكم الأندلس ، نظراً لتفاقم الخطر من جانب القوى النصرانية المحيطة بها من كل جانب .

وقد تجلى ذلك بوضوح فى تشييد الاستحكامات الدفاعية ، وتحصين المدن والحدود من هجمات الممالك النصرانية ، فقاموا بتشييد الحصون، والرباطات، والأسوار ، والأبراج ، وغيرها من البنية الدفاعية التى مكنتهم من الصمود طيلة قرنين ونصف من الزمان .

والمقصود هنا بالنبية الدفاعية ، تلك الاستحكامات التى لجأ المسلمون فى بلاد الأندلس لتشييدها ، بقصد زيادة تحصين بلادهم للوقوف فى وجه أطماع الممالك النصرانية ، من حصون ، وأسوار ، وأبراج ، وقلاع ،وقصبات ، وغيرها.

واقتضى موضوع هذا البحث تقسيمه لأربعة عناصر رئيسة تسبقها مقدمة وتنتهى بخاتمة ، جاءت متسلسلة ومتدرجة من العام للخاص ، والعنصر الأول جاء بعنوان " عوامل تشيّد البنية الدفاعية " وفيه أناقش أسباب اتجاه المسلمين فى بلاد الأندلس فى تلك الفترة للاهتمام بالبنية الدفاعية ، وهل كانوا مجبرين على ذلك لأسباب سياسية ، أو اقتصادية ، أو جغرافية بسبب موقعها ، أم غير ذلك.

أما العنصر الثانى فقد جاء بعنوان " الطبيعة الجغرافية والبنية الدفاعية " وجاء هذا العنصر ليرصد بشكل مباشر العلاقة بين البنية الدفاعية والطبيعة الجغرافية ، ومدى تأثير الطبيعة الجغرافية فى البينة الدفاعية ، وهل كان الموقع الجغرافى للمملكة بمثابة تحصيناً طبيعياً ؟ وهل ساعدت الطبيعة الجغرافية لمملكة

غرناطة فى ترشيد الإنفاق إلى حد ما على البنية الدفاعية كونها كانت عاملاً مساعداً فى التحصين أم لا؟

وجاء العنصر الثالث – أهم عناصر البحث – بعنوان "أهم منشآت البنية الدفاعية " ويرصد أهم المنشآت التى تم تشييدها ، أو الزيادة فيها ،أو ترميمها بقصد الدفاع والتحصين ، وجاءت متسلسلة من الخارج للداخل ، فى خريطة جغرافية لهذ المنشآت من بداية حدود الدولة الإسلامية فى الأندلس متجهة نحو الداخل ، وتبدأ بالحصون ثم الأربطة ، والأسوار ،والأبراج ،والأبواب ،والقصبات.

وأختم هذا البحث بخاتمة ترصد أهم ما توصلت إليه من نتائج ، ثم قائمة بأهم المصادر والمراجع التى اعتمدت عليها .

أولاً: عوامل تشيّد البنية الدفاعية:

تجدر الإشارة إلى أنه قبيل الخوض فى مدى فاعلية البنية الدفاعية وأهميتها فى مملكة غرناطة ، واهتمام حكوماتها المتعاقبة بالإنفاق عليها لتشييدها ، يجب التعرف على أهم الأسباب التى دفعت المسلمين فى بلاد الأندلس فى تلك الفترة لذلك .

وتولى بنو الأحمر فى غرناطة مهمة الدفاع عن الكيان الإسلامى فى بلاد الأندلس طيلة قرنين ونصف من الزمان ، ذلك أنه بعد هزيمة الجيش الموحدى فى موقعة العقاب Las Navas de Tolosa[1] فى ١٥ صفر سنة ٦٠٩هـ/ ١٦ يوليو ١٢١٢م ، أمام القوات النصرانية بزعامة مملكة قشتالة ، بات الوجود الإسلامي

فى بلاد الأندلس مهدداً ، فبدأت تظهر قيادات أندلسية محلية كان من بينهم محمد بن يوسف بن نصر[٢]، المعروف بابن الأحمر، مؤسس مملكة غرناطة ، آخر الدول التى حكمت المسلمين فى بلاد الأندلس ، حيث نجح فى رمضان سنة ٦٣٥هـ/ أبريل ١٢٣٨م فى إعلان قيامها[٣].

وقد عملت هذه المملكة الناشئة على جمع كلمة المسلمين فى بلاد الأندلس تحت رايتها ، وظلت تمثل الكيان الإسلامى كحكومة رسمية حتى سقوطها فى عام ٨٩٧هـ /١٤٩٢م.

إلا أن هذه المملكة الوليدة كانت تقع وسط عدد من الممالك النصرانية التى كانت تتحين الفرص لشن الغارات على البلاد الإسلامية ، للنيل منها والتوسع على حساب أملاكها ، وهو ما ثبت بالفعل بعد قيام مملكة غرناطة مباشرة ، مستغلين تقهقر الوجود الإسلامي لجنوب غرب شبه الجزيرة الأيبيرية ، وبدأوا سلسلة من الحملات الشرسة التى انتهت بسقوط عدد من المدن الإسلامية المهمة، حيث حصلت كل مملكة على نصيبها من الأملاك الإسلامية ، أما بالنسبة لمملكة قشتالة فنجحت فى عام ٦٣٣هـ/ ١٢٣٦م، فى دخول مدينة قرطبة Cordoba [٤]، ثم مدينة مرسية Murcia [٥] فى عام ٦٤١هـ/ ١٣٤٣م [٦]. وتمكنت قوات مملكة قشتالة من دخول مدينة Jaen [٧] عام ٦٤٣هـ/ ١٢٤٥م[٨]. وسقطت إشبيلية Sevilla [٩]، فى أيديهم فى رمضان سنة ٦٤٦هـ/ نوفمبر ١٢٤٨م[١٠] ، كما استولت أراجون على عدة مدن أهمها بلنسية Valencia [١١] عام ٦٣٦هـ/ سبتمبر ١٢٣٨م [١٢]، واستولت البرتغال على قطاع كبير منها فى غرب الأندلس.[١٣]

ومن هنا أدرك المسلمون فى بلاد الأندلس أنهم فى مرمى هجمات الممالك النصرانية بشكل مباشر ، فكان اتجاهها لتحصين البلاد والإنفاق عليه بشتى السبل، لتحقيق حمايتها من السقوط المبكر، والوقوف فى وجه الهجمة الشرسة للممالك المسيحية التى كانت تحيط بها من كل جانب .

علاوة على ما سبق فقد دفع الموقع الحيوي لبعض المدن والموانىء الأندلسية ، المسلمين لزيادة تحصينها ، والعمل على زيادة البنية الدفاعية بها ، فكثرة الموانىء البحرية وحيوتها بالنسبة للملاحة العالمية فى تلك الفترة مثل المرية Almeria [١٤] ، أشهر موانىء الأندلس[١٥] ، وميناء مالقة Malaga [١٦] الذى كان مع المرية يعتبران من الموانىء الدولية المشهورة فى العصور الوسطى [١٧] ، علاوة على ميناء الجزيرة الخضراء Algeciras [١٨]، وغيرها من الموانىء البحرية، جعل الحكومة الغرناطية عبر عصورها تتجه للعمل على تحصينها بما يتماشي مع حيويتها وأهميتها ، فهى أهم مصدر لدخل المملكة ، ويجب الحفاظ عليه بشتى السبل .

كما أن طول الساحل الأندلسي كان سبباً فى زيادة البنية الدفاعية عليه لتحصينه من أية هجمات عليه بقصد القرصنة أو عمليات حصار المدن عن طريق البحر ، أو عمليان إنزال قوات معادية على طول الساحل بقصد الاستيلاء على نقاط حيوية به ، أو مدن تقع عليه . [١٩]

كما اهتمت حكومة مملكة غرناطة طوال تاريخها بالعمل على تأمين جبل طارق Gibraltar كمضيق حيوى غاية فى الأهمية ، فهو الرابط الأساسي والأهم

للعدوتين الأندلسية والمغربية ، وكان وجوده فى قبضة المسلمين بمثابة تأمين لهم، وبث روح الطمأنينة فى نفوسهم ، فإذا لا قدر الله حدث لهم مكروه ، بادر إخوانهم فى العدوة المغربية بالعبور لنجدتهم(٢٠) وعن ذلك يقول ابن الخطيب:

هو البابٌ إذا كان التزاورٌ واللقيا وغوثٌ وغيثٌ للصريخِ وللسقيا

فإن تترك الأيامَ فيه بحادثٍ وأعزِزْ به كل السلام على الدنيا(٢١)

علاوة على ذلك فإن مضيق جبل طارق يعتبر نقطة عبور للتجارة بين الشرق والغرب ، ومرور أغلب التجارة العالمية به فى العصور الوسطي ، وكان ذلك السبب فى زيادة أطماع الممالك النصرانية فيه ، مما جعل سلاطين غرناطة وبنى مرين (٢٢) يعملون على زيادة تحصينه خوفاً من سقوطه فى أيدى القوى المعادية ، وبالتالى السيطرة على حركة التجارة فى حوض البحر المتوسط (٢٣) .

خلاصة القول: إن عدة دوافع دفعت حكام مملكة غرناطة المتعاقبين القيام بعمليات تحصين مستمرة لحدودها الخارجية ومدنها الداخلية ، للحفاظ على سلامة أرضها من ناحية ، وضمان قدرتها العسكرية للوقوف فى وجه الهجمات النصرانية التى اتسمت بشراستها فى الكثير من الأوقات ، أو بقصد حماية مدنها وموانئها الحيوية ، مصدر اقتصادها الرئيس ، والذى قام أغلبه على التجارة ، ومن هنا كان لزاماً عليها حماية مدنها الساحلية وسواحلها بقصد حماية تجارتها ، وحماية حدودها التى كانت تفصلها عن الممالك النصرانية ، التى كانت تتحين الفرصة للانقضاض على المدن الإسلامية .

ويمكن طرح سؤال هنا ، هل زاد حجم إنفاق مملكة غرناطة عن غيرها من الدول الإسلامية المعاصرة لها ، وبخاصة تلك التى كانت فى بلاد المغرب ؟ أو حتى من سبقتها فى حكم بلاد الأندلس؟

وتكمن الإجابة هنا فى حجم المخاطر التى تعرضت لها مملكة غرناطة ، وجاءت فى أغلبها عوامل سياسية ، فقد استغل جيرانها من الممالك النصرانية ما حل ببلاد الأندلس من ضعف بعد هزيمة دولة الموحدين القوية ، التى لطالما تصدت لهم ، وبدأت تلك الممالك فى شن حرب أشبه ما تكون بحرب استنزاف للدولة الإسلامية ، كانت نتيجتها فقدان الدولة الإسلامية مساحات واسعة ، مما تطلب العمل بشتى السبل للتصدى لهذه الحملة ، أو على الأقل تخفيف حدتها ، مع اختلاف قدرة مملكة غرناطة الاقتصادية والعسكرية عن الدول التى سبقتها فى حكم الأندلس ، لقلة مساحتها مقارنة بهم .

أضف إلى ما سبق أنه ثمة تقارب فى فكر الممالك النصرانية فى تحقيق أكبر المكاسب السياسية على حساب مملكة غرناطة ، وبخاصة بعد نجاح مملكة قشتالة فى الاستيلاء على مدن أندلسية فى جنوب الأندلس ، مثل إشبيلية ، وتحويلها إلى عاصمة لها ، ومركزاً لشن الهجمات على البلدان الإسلامية . كما نجحت مملكة أراجون فى الاستيلاء على مدينة بلنسية ، واتخذتها عاصمة لها هى الأخرى ، وحولتها مركزاً للتوسع على حساب المسلمين .

ثانياً : الطبيعة الجغرافية والبنية الدفاعية :

ثمة ارتباط وثيق بين جغرافية مملكة غرناطة والبنية الدفاعية لها ، فقد كانت هذه المملكة محصنة من الناحية الطبيعية إلى حد كبير ، وهو ما عمل على توفير كثير من النفقات العسكرية لتشييد البنية الدفاعية فى مناطق كثيرة ، علاوة على الاستفادة من بعض التحصينات الطبيعية فى تشييد البنية الدفاعية عليها أو بالقرب منها ، أو اتخاذها بنية دفاعية فى حد ذاتها ، كما سيتضح فى الصفحات التالية .

فمن الناحية العسكرية كانت المياه التى أحاطت بالمملكة من النواحى الجنوبية والغربية والشرقية على الرغم من أن طول هذا الساحل يحتاج لبنية دفاعية لحمايته ، فقد كان فى الوقت نفسه بمثابة حماية طبيعية ضد أية هجمات عليه(٢٤)، ذلك أن أى قوة كانت تفكر فى الهجوم على أملاك المسلمين فى بلاد الأندلس من ناحية البحر ، كان لابد لها من امتلاك أسطول بحرى قوى ، يمكنها من تنفيذ ذلك ، وهو ما لم تمتلكه الكثير من القوى رغم قوتها العسكرية ، لذلك كانت تخوض غمار حربها برياً فقط ، فحرب مملكة قشتالة على مملكة غرناطة ، كانت أكثرها حروب برية ، والقليل منها فقط كان بحرياً ، بمعاونة أراجونية (٢٥) ، ولم تخض حرباً بحرية بمفردها إلا فى مرات قليلة ، لضعف قوتها البحرية مقارنة بمملكة أراجون ، التى كانت تمتلك أسطولاً بحرياً قوياً ، مكنها من شن الحرب على جزر البليار Baleares داخل البحر المتوسط ، (٢٦) ، ومن حصار بلنسية عام ٦٣٦هـ/ سبتمبر ١٢٣٨م براً وبحراً (٢٧) ، ومن المشاركة فى هجمات مملكة قشتالة البحرية ضد مملكة غرناطة كما سيتضح فى الصفحات التالية .

وكما كانت المياه التى أحاطت بالمملكة من الخارج بمثابة حماية طبيعية لها، كانت الأنهار التى اخترقتها هى الأخرى حامياً طبيعياً لبعض المدن ، التى كانت تحتاج الكثير من القوات والجهد المبذول لفرض الحصار عليها بسبب وجود الأنهار حولها ،أو تلك التى تخترقها ، وأعظم أنهار مملكة غرناطة ، وأكثرها تأثيراً فى مدنه نهر الوادى الكبير Guadalquivir ، لأنه يمر بمسافات طويلة داخل بلاد الأندلس ، ويمر بمدن عديدة، يفصل بعضها لشقين ، ويمر خارج البعض الآخر ، فكان بمثابة حامياً لها ، كما أنه تتفرع منه عدة أنهار فرعية زادت من أهميته ، وكثرة البلاد التى تطل على مجارى مائية ، وأهم أنهاره الفرعية نهر شنيل Genil ، الذى تقع عليه العاصمة غرناطة ، وتطل عليه من ناحية الجنوب والغرب (٢٨).

ويمر نهر آخر بغرناطة العاصمة هو نهر حَدرَة Derra ، الذى يمر شرقها ، ويلتقى بنهر شنيل سالف الذكر خارج المدينة ، وطول نهر حدرة حوالى ١١كم(٢٩).

ومن أنهار غرناطة أيضاً نهر وادى المنصورة أو وادى بيرة Vera والذى يصب فى البحر المتوسط عند بلدة بيرة ، وكانت تطل عليه عدة مدن أيضاً ويعمل على تحصينها ، وأهمها غرناطة ، وبيرة (٣٠).

كما ساعدت الجبال التى أحاطت مملكة غرناطة ، وتلك التى كانت تخترقها، على حماية مدن المملكة لوعورتها وارتفاعها ، . فقد كانت تعمل كسور طبيعى أمام الكثير من الهجمات التى تعرضت لها عبر تاريخها .

والمدقق للخريطة الجغرافية لمظاهر السطح فى مملكة غرناطة يجد أن أهم سلسة جبال حصنت المملكة كانت سلسلة جبال تعرف باسم سيرا نيفادا Sirra Nevada ، وأهم جبال هذه السلسلة جبل شيلر ،أو جبل الثلج ، وهو تحريف للاسم اللاتينى القديم Solorius أى جبال الثلج ، وارتبط الاسم بالشكل أن قمم هذا الجبل مغطاه بالثلج ، الذى يشتد لمعانه بانعكاس أشعة الشمس على قممه ، ويحصن بشكل مباشر مدينة غرناطة عاصمة المملكة ، ويقع فى الجهة القبلية منها. (٣١)

كما عمل هذا الجبل أيضاً على تحصين مدينة من أهم المدن الأندلسية والتى لعبت دوراً سياسياً مهما فى تاريخ مملكة غرناطة ، وهى مدينة وادى آش Guadix(٣٢) ، حيث كانت تطل من الشرق على نهر الوادى الكبير ، ومن الغرب على صخرة منيعة عالية تشرف على واديها الأخضر ، وتظهر بعدها جبال سيرانيفادا الشاهقة على بعد اثنى عشر كيلومترًا منها. (٣٣)

كما طلت مدينة المرية على جبل المرية ، الذى يقع فى الشمال منها ، وأضحت محصنة به شمالاً ، كما حصنها البحر المتوسط جنوبًا ، ومن الشرق والغرب واديان ضحلان. (٣٤)

أما مدينة مالقة فكانت هى الأخرى ، تتمتع بحصن طبيعى ، لوجود جبل جبل فارّة (بتشديد الراء وضمها) Gibralearo الذى يشرف على مرساها ، وكان بمثابة حصن طبيعى للميناء(٣٥).

وبذلك تكون مدينة مالقة ذات موقع متميز محصن طبيعى إلى حد ما فهى تقع على البحر المتوسط فى وادى عميق ، يحد هذا الوادى من الشمال المرتفعات الشاهقة، ومن جنوبه منطقة وعرة كلها جرداء[٣٦] .

ويدلل على أهمية الجبال فى عملية التحصين ، عملية تشييد الحصون عليها لحماية المدن ، فكان يتم اختيار المكان الذى يتم بناء الحصن فيه بدقة بالغة ، فمكان الحصن قد يكون فى منعة فى حد ذاته ، لذلك كانت أمنع الحصون تلك التى تكون على تبة عالية أو على سفح جبل ، أو على جبل نفسه ، يدلل على ذلك ما ذكره المؤرخ لسان الدين بن الخطيب أن السلطان الغرناطى أبا الحجاج يوسف الأول[٣٧](٧٣٣-٧٥٥هـ/١٣٣٣-١٣٥٤م) عندما قرر بناء حصن لحماية ميناء مالقة – الحيوى ، وأهم الموانىء الأندلسية فى عصر بنى الأحمر – من أية هجمات عليه ، كان قد اختار مكانه على جبل فارُّة المطل على ميناء مالقة مباشرة[٣٨] .

وجنوباً وقف جبل طارق شامخاً ، بمثابة حصن طبيعى للمملكة من ناحية الجنوب ، خاصة بعد أن أنشأ الموحدون على سفحه مدينة الفتح مركزًا للعمليات الحربية، كما كان به تجويف له دلالات حربية ،عبارة عن مغارة كبيرة فى الجبل ، وكانت السبب فى إطلاق الاسم الفينيقى Calpe عليه قبل الفتح الإسلامى ، ومعناه التجويف . [٣٩]

ويدلل على أهمية جبل طارق بالنسبة للمسلمين فى بلاد الأندلس ، وحرصهم الشديد على تأمينه ، وخوفهم من وقوعه فى قبضة أى من الممالك النصرانية ، التى كانت تتربص الفرص للانقضاض على المناطق الحيوية وبخاصة جبل طارق ، أنه بعد استرداده من قبضة قشتالة عام ٧٣٣هـ/ ١٣٣٣م بمساعدة قوات مغربية من بنى مرين [٤٠] ، قاموا بإقامة تحصينات قوية للجبل، حتى إذا ما شن القشتاليون

الهجوم عليه مرة أخرى، منعتهم التحصينات قوية به ، من ترميم ما تهدم منها ، والزيادة فى تحصين أسواره وأبراجه (٤١).

وبالصورة سالفة الذكر من التحصين الطبيعى لمملكة غرناطة ، يمكن القول :إن خريطة حدودها الجغرافية تشير بشكل مباشر لتحصينها الطبيعى، فكان يحدها من الشمال مرتفعات جبال سيرانيفادا ونهر الوادى الكبير ومن الجنوب والشرق البحر المتوسط ، ومن الغرب أرض الفرنتيرة (٤٢) .

ويمكن : إن مملكة غرناطة قد حباها الله بعدد من المقدرات الجغرافية الطبيعية التى شكلت حماية طبيعية لها ، لكونها حصن طبيعى من جهة ، أو مكان لإقامة حصن من جهة أخرى ، فالحدود الجغرافية لمملكة غرناطة ، تشير إلى أنها محصنة بطول سواحلها كمانع طبيعى يحول دون تقدم قوات معادية ، إذا ما فكرت فى الهجوم عليها ، على الرغم من أن طول الساحل كان يتطلب منها حماية أكثر وعدد أكثر من الحصون ، إلا أنه يمكن القول: إن وجود البحر كمانع طبيعى كان قد يصعب هجوم القوات النصرانية على العديد من الأملاك الإسلامية ، لما تتطلبه من مقومات بحرية ، ربما كانت تفتقدها الكثير من الممالك فى تلك الفترة ، ومن كانت لديه إمكانات بحرية كانت تستغلها تلك الممالك والمدن فى تحقيق المكاسب التجارية كمملكة أراجون ، والمدن الإيطالية .

ولكل ما سبق كانت قشتالة تفكر كثيراً إذا ما فكرت فى شن هجوم من ناحية البحر ، وهو ما كان يضطرها فى الكثير من الأحيان للجوء لطلب العون من مملكة أراجون ، وهو ما حدث بالفعل فى عام ٧٠٩هـ /١٣٠٩م عندما فكرت فى

شن هجوم بحرى على مدن مملكة غرناطة(٤٣)، وتكرر الأمر ذاته بطلب العون البحرى من مملكة أراجون صاحبة التفوق والقدرة البحرية أكثر من مملكة قشتالة في موقعة طريف في جمادى الأولى سنة ٧٤١هـ/ الموافق ٣٠ أكتوبر سنة ١٣٤٠م(٤٤).

وربما يبرر التفوق البحرى الأراجونى عن مملكة قشتالة ، أن مملكة أراجون كانت مملكة ساحلية منذ قيامها ، تمتعت بسواحلها البحرية المطلة على البحر المتوسط ، والتى ازدادت قوة باستيلائها على جزر البليار ، ومدينة بلنسية ، أما مملكة قشتالة فكانت منذ قيامها مملكة داخلية ، قوتها فى الحرب البرية أكثر من البحرية ، وهو ما جعل أكثر حروبها التى خاضتها ضد المسلمين فى بلاد الأندلس حروباً برية .

ثالثاً: منشآت البنية الدفاعية:

- الحصون:

ربط اللغوي ابن منظور بين معنى الحصن فى اللغة وبين معناه الاصطلاحى، حيث ذكر أن الحصن فى اللغة مستمد من تحصين المكان ، أى منعته ، وحيلولته على العدو ، وكل موضع حصين ، لا يتم الوصول إلى ما فى جوفه بسهولة فهو حصن ، وجمعه حصون. (٤٥)

والحصون فى مقدمة البنية الدفاعية ، بل هى أهمها بالنسبة لأية دولة تريد أن تحمى حدودها ومدنها من هجمات العدو ، وتمنعها من السقوط فى أيديه ، ولأن مملكة غرناطة كانت مدنها فى مرمى القوى النصرانية المجاورة لها ، سعت بكل جدية فى تشييد العديد من الحصون ، وليس هذا أمرًا مستحدثاً فى بلاد الأندلس

الإسلامية، فعلى مدار تاريخها عمدت الدول التى حكمتها إلى بناء الحصون لحماية البلاد الإسلامية من هجمات أعدائها [٤٦].

والحصون كبنية دفاعية غاية فى الأهمية ، ووسيلة من وسائل الدفاع القوية، وهى خط الدفاع الأول بالنسبة للمدن ، فمتى سقط الحصن خارج المدينة ، بات دخول المدينة أسهل ، لاختراق خط الدفاع الأول ، وهو الحصن ، وثبات الحصن ومنعته يعنى فى التكتيك الحربى ثبات ومنعة المدينة التى يقوم بحمايتها ،فهى تتقدم الأسوار لحمايتها وقت الهجوم .

أما عن شكل الحصن من الناحية المعمارية فهو عبارة عن بناء به متاريس مسننة ، وهذا البناء له عدة أبواب جاءت كلها متداخلة ، وعادة ما تكون في إحدى زواياه. [٤٧]

أما عن اهتمام بنو الأحمر سلاطين غرناطة بتشييد وتجديد الحصون للدفاع عن المدن وحمايتها من هجمات أعدائهم ، الطامعين فى بلادهم ، فيذكر المؤرخ لسان الدين بن الخطيب أن السلطان الغرناطى أبا الحجاج يوسف الأول (٧٣٣-٧٥٥هـ/١٣٣٣-١٣٥٤م) قام ببناء حصن على جبل فارة المطل على ميناء مالقة ، لحمايته من أية هجمات عليه ، وفى ذلك يقول ".... وفى أيامه(يوسف الأول) ..... بنى الحصن السامى الذروة ، المبنى على القدرة ، فى الجبل المتصل بقصبة مالقة ، فعظم به الفخر، وجل الذكر... "[٤٨] .

وقام ابنه ووريثه فى حكم المملكة السلطان محمد الخامس[٤٩](٧٥٥هـ - ٧٩٣ هـ / ١٣٥٤م - ١٣٩١م)، بالاهتمام بتشييد الحصون لحماية البلدان الإسلامية ، ومن أجل الأمثلة على ذلك ، اهتمامه بتجديد بناء حصن جبل فارة سالف الذكر ، ولم يتوقف عند هذا الحد ، وإنما كان قد أمر أهل مالقة بضرورة الاهتمام ببناء الحصون القوية لحماية المدينة وميناءها . كما اهتم بحصن مدينة

آشر على حدود قشتالة وشيد الأسوار العالية على الحصن لحمايته ، وبنى عليها الأبراج ، وقام بتجديد حصون الحمراء قلعة ملكهم ، وزاد فى أسوار الحصون ، وزودها بالأبراج (٥٠)

أما الحصن من الناحية المعمارية ، فيشهد على براعة البناء وعظمة العمارة الحربية فى تلك الفترة ، فالبنظر إليه كبينة حربية تزود عن الميناء بصفة خاصة والمدينة بصفة عامة ، تبدأ عظمته من اختيار المكان الذى تم تشييده عليه ، فقد تم اختيار مكان مرتفع ، يشرف على البحر مباشرة ، وعلى الميناء ، وقريب من قصبة المدينة ، حيث يفصل بينها وبينه رقعة خضراء . وتتجلى عظمة البنية الدفاعية هنا فى أن الحصن والقصبة يرتبطان بطريق عليه سور ، ويشرف الحصن على المدينة من ارتفاع شاهق ، وأمام الحصن من الناحية الأخرى منحدر الجبل (٥١).

والحصن تم تشييد أسواره الخارجية بشكل معمارى يمتاز بقوته ، حيث بنى من الآجر الأحمر ، وكغيره من الحصون الحربية ، لابد من وجود برج رئيسى للمراقبة والحماية ، وكان برجه أبيض اللون ، وواجهته مستديرة ، أما أبواب الحصن فكانت أربعة كبيرة الحجم ، كلها فى سور الحصن الأسفل ، وأحد هذه الأبواب يؤدى إلى قصبة المدينة(٥٢).

وظل حصن جبل فارة سالف الذكر يقف شامخاً ، مدافعاً عن الميناء والمدينة، حتى كانت الحملة الشرسة التى شنتها مملكتا قشتالة وأراجون على المدينة فى عام ٨٩٢ هـ / ١٤٨٧م ، وبعد بعد حصار دام أربعين يومًا ، تم الاستيلاء على المدينة والحصن (٥٣).

أما عن أهم ما تبقى من الحصن من آثار حتى الآن ، فلا تزال أجزاء من أسواره ، وأجزاء من برجه ، شاهدة على عظمة البناء الحربى الإسلامى الأندلسي، بطرازه المعروف ، الذى يميزه عن غيره من الطرز المعمارية .(٥٤)

كما اشتهر من حصون مملكة غرناطة أيضاً ، حصن تم تشييده لحماية عاصمة المملكة مدينة غرناطة ، سمى بحصن موكلين Moclin ، أحد أشهر الحصون المنيعة فى تاريخ مملكة غرناطة ، اختار المسلمون مكانه فوق ربوة جبلية عالية ، هرمية الشكل تشرف على البسائط المجاورة ، ويقع على بعد اثنين وثلاثين كيلو مترًا شمال غربى مدينة غرناطة العاصمة ، وفى أسفل الحصن تقع قرية مكلين.(٥٥)

وقد اهتم سلاطين غرناطة بهذا الحصن لأهميته ، وكانوا يجددون بناءه باستمرار ، فهذا هو السلطان أبو عبد الله محمد الزغل سلطان غرناطة (٨٨٨-٨٩٢هـ / ١٤٨٢-١٤٨٦م) (٥٦) ، فى فترة حرب غرناطة الأخيرة ، وصمودها أمام الهجمة النصرانية الشرسة عليها لإسقاطها ، قام فى عام ٨٩٠هـ / ١٤٨٥م بزيادة بناء الحصن ، والتوسع فيه، وزيادة تحصينه ، وبناء ما تهدم من أسواره.(٥٧)

وتجلى الدور الدفاعى للحصن كبنية دفاعية فى التصدى لهجمات قشتالية عديدة ، وقد لعب حصن مكلين دورًا بارزًا فى حرب مملكتى قشتالة وأراجون الأخيرة لاسترداد مدينة غرناطة العاصمة ، ومنع هجمات النصارى عليها أكثر من مرة ، إذ أنه من أمنع خطوط الدفاع الشمالية عن مدينة غرناطة ، وعندما شن الجيش القشتالى حملته الشرسة على حصن المكلين فى شعبان ٨٩٠هـ/يوليه ١٤٨٥م ، بقصد الاستيلاء عليه ، تمهيداً للاستيلاء على غرناطة ، فإذا ما سقط الحصن بات

سقوطها سهلاً ، كان للحصن دور بارز فى التصدى لهم ، وهزموا على أعتابه شر هزيمة ، لارتفاعه ، ومنعته ، وبسالة جنده، ووصول الجيش الغرناطى بقيادة السلطان أبو عبد الله محمد الزغل بقواته للزود عن الحصن . (٥٨)

ولمنعة الحصن وقوة بناءه ، فبعد استيلاء قشتالة وأراجون عليه فى حملتهم الأخيرة على غرناطة فى جمادى الآخرة سنة ٨٩٦ هـ / أبريل ١٤٩١ م ، التى انتهت بدخول غرناطة بعد ذلك والاستيلاء عليها (٥٩)، نصت معاهدة تسليم غرناطة فى نص صريح على أنه متى تم تسليم الحمراء والأبواب والحصون ، يجب أن يتسلم ملك غرناطة ابنه المأخوذ رهينة لدى الملكين ، المأسور فى حصن موكلين ، وكذلك الأشخاص الموجودين معه من جوارى السلطان وعبيده ، الذين أسروا معه . (٦٠) مما يدل على منعة الحصن وقوته ، ولولا ذلك لما اختارته ملوك قشتالة وأراجون مكاناً لحجز الرهائن .

ويدلل على حرص سلاطين بنى الأحمر أيضاً على بناء الحصون لحماية المدن وبخاصة الحيوية ، حرصهم على بناء الحصون الساحلية على ساحل المرية ، لحمايتها من ناحية البحر ، وقد شيدوا على هذه الحصون الأبراج العالية (٦١).

ولأهمية جبل طارق بالنسبة للمسلمين ، عمد سلاطين بنى الأحمر ، وسلاطين بنى مرين على تحصينه بعد استرداده عام ٧٣٣هـ /١٣٣٣م ، فقد تم إعادة بناء حصن الجبل وزاداوا فيه ، وقاموا بتعلية السور الذى حوله ، وأصلحوا ما كان قد تهدم فيه (٦٢)

كما حرص الأندلسيون كشعب على تحصين مدنهم ، فشاركوا فى بناء الحصون خارج المدن لحمايتها من الأعداء ، وشاركوا فى بناء الأسوار حول هذه الحصون ، فهذا هو العالم أبو البركات بن الحاج البلفيقى(ت ٧٧٣هـ /١٣٧١م) من العلماء الأندلسيين المجاهدين فى عصر بنى الأحمر، يحث الناس على المشاركة فى بناء الحصون ، وتسويرها بالأسوار العالية لحمايتها ، وشارك بنفسه فى تشييدها ، بل أنفق على ذلك من ماله الخاص. (٦٣)

وحث سلاطين غرناطة أيضاً سكان المناطق الحدودية على تحصين مدنهم، ببناء الحصون وزيادة البنية الدفاعية ، خشية هجوم الممالك النصرانية عليها فى أى وقت ، وتزعم عملية جمع المال لتنفيذ ذلك ببناء الحصون والأسوار حول المدن ، فقهاء المدن الحدودية ، بل حثوا الناس على سداد ما على أموالهم من متحصلات لصالح الدولة لاستغلالها فى عملية تحصين المناطق الحدودية(٦٤).

ومن الحصون المهمة التى لاقت اهتمام سلاطين غرناطة حصن مدينة شلوبانية Salobena (٦٥) وهو حصن بحرى ، ويدلل على أهميته الحربية ، أن السلطان الغرناطي أبو عبد الله محمد بن أبى الحسن على الملقب بالصغير (٦٦))(٨٨٧-٨٩٧هـ /١٤٨٢-١٤٩٢م) آخر سلاطين غرناطة حاول فى رمضان سنة ٨٩٥ هـ/ أغسطس ١٤٩٠م استرداده من أيدى قشتالة بعد أن كانت قد نجحت فى الاستيلاء عليه قبلها بأعوام ، ولمنعة الحصن وقوة بنائه التى كان قد اهتم بها المسلمون من قبل أثناء تشييده ، تحصن من كان به من النصارى, فحاصره

السلطان ، واستمر القتال لثلاثة أسابيع، واستحال عليه دخوله ، وهذا دليل قوى على قوة الحصن ومناعته.(٦٧)

ويذكر المؤرخ لسان الدين بن الخطيب عدداً من الحصون الشهيرة فى غرناطة منها ، مجاقر Mujacar ، جنوب مدينة بيرة Vera ، وقال عنه أنه حصن جديد ، وحصن برشانة Puchena فى ولاية المرية ، ويقع على نهر المنصورة ، وقتال عنه أنه حصن مانع . (٦٨)

ومما سبق يتضح أن بنى الأحمر فى غرناطة كانوا قد اهتموا بتحصين المدن ببناء الحصون ، كما اهتموا بترميم الحصون باستمرار ، وإصلاح ما كان يتهدم من أسوارها ، وأبراجها ، ويحسب لهم حث الرعية على القيام بذلك باستمرار، للزود عن مدنهم أمام الحملة الشرسة عليها .

كما اتضح أيضاً الدور الدفاعى للحصون كبينة دفاعية ، وتكرار حملات الممالك النصرانية فى حربها ضد مملكة غرناطة ، ومحاولة الاستيلاء على الحصون المهمة باستمرار ، وليس ثمة دليل على ذلك من محاولة الاستيلاء على حصن مكلين القريب من غرناطة عدة مرات ، مما يدلل على أهميته الدفاعية ، وقوته المعمارية ، وصلابته ، وحسن اختيار موضعه الذى شييد عليه .

- الأربطة:

الرباط فى اللغة ملازمة المكان والثبات فيه ، وهو مشتق من ربط ، أى لزم ، واصطلاحاً الرباط يعنى ملازمة الثغر . (٦٩)

وكان اهتمام المسلمون الأوائل منذ فترة مبكرة ترجع إلى اتساع حركة الفتوحات الإسلامية فى عهد الخفاء الراشدين بتحصين السواحل الإسلامية ، وتم تشييد عدد من الأربطة عليها لإقامة الجند المقاتلين فيها ، ولزومهم إياها لرد أى هجوم عليها . (٧٠)

وانتقلت الأربطة إلى بلاد الأندلس ، باعتبارها بلد من البلدان التى شهدت مواجهات عديدة بين القوى الإسلامية ، والممالك النصرانية ، بل إن لفظ رباط انتقل إلى الممالك النصرانية ، وانتقل بعد ذلك للُّغة الإسبانية Rebato . (٧١)

وللأربطة أنشطة متنوعة بين الدينية ، والحربية ، والمدنية ، ففى البداية كانت قد نشأت للقيام بدور حربى ، ثم استخدمت كدور للعبادة ومراكز للتصوف ، وقدمت بعض الرباطات خدمات تجارية ، ومستودعات حفظ للمواد الغذائية ، كما استخدمت الأربطة كمحطات للبريد ، كما كانت بمثابة أمن لحفظ الطرق . (٧٢)

وفى عصر بنى الأحمر ، ونظراً لكثرة هجمات الممالك النصرانية عليها ، كثرت الرباطات والمرابطين فيها ، وكان أغلب دروها الدور الحربى ، ومن أشهر الرباطات الحربية فى تلك الفترة ، رباط القبطة Cabo de Cata ، وهو رباط مشهور على ساحل مدينة المرية ، قام بتشييده السلطان الغرناطى محمد الخامس، وكان الغرض من إنشائه غرض حربى ، فقد تم تشييده كبنية دفاعية ، مهمته الدفاع والزود عن شاطىء المرية ، وحمايته ، والوقوف فى وجه أى هجوم محتمل عليه . (٧٣)

كما كان هناك رباط مدينة بجانةPechena [٧٤] ، القريبة من مدينة المرية، وكانت مهمة هذا الرباط الحربية هى التدخل لصد أى هجوم محتمل على المرية وبخاصة ميناء المدينة [٧٥] .

- الأسوار:

الحصون والأربطة كما اتضح أنها تكون على مشارف المدن لحمايتها، فإذا كان بنو الأحمر قد عملوا على تحصين المدن من الخارج على النحو سالف الذكر ، فماذا عن عملية تحصين المدن ذاتها .

ومن المعروف أن البنية الدفاعية بالنسبة لحماية المدن والأحياء السكنية الكبرى كانت تبدأ من السور المشيد حولها ، لحمايتها من أى هجوم محتمل . وكلما كانت الأسوار قوية ومرتفعة كلما زاد ذلك من عملية الحماية والتحصين . [٧٦]

وعملية التحصين لم تكن بتشييد السور فقط ، وإنما كانت مزودة بأبراج على طولها ، تؤدى دورها الدفاعى ضد أى هجوم ، وترصد فى الوقت نفسه كبرج مراقبة أية تحركات باتجاه المدينة ، ولأن المدن الإسلامية الكبرى كغرناطة العاصمة ، والمرية ، ومالقة ، ووادى آش ، والمنكب ، والجزيرة الخضراء ، وطريف ، كانت تقع دائماً فى مرمى الممالك النصرانية ، ويتم عليها الهجوم باستمرار ، كان سلاطين غرناطة يهتمون بأسوارها ومتانتها ، وكثرة الأبراج عليها ، حتى أن البعض منهم فكر فى تشييد أسوار قوية حول الأحياء والأرباض الكبرى . فهذا هو السلطان يوسف الأول يأمر بتشييد سور كبير حول ربض البيازين ، أحد أرباض غرناطة العاصمة ، وأكثرها سكاناً [٧٧] .

وإذا كان حكام مملكة غرناطة يعملون على تشييد الأسوار لحماية المدن والأرباض السكنية ، أليس بالأحرى أن يهتموا ببناء أسوار منيعة حول قلعة حكمهم ، والمقصود هنا قصر الحمراء [٧٨] ، مقر إقامتهم وذويهم ، ومقر حكم المملكة . [٧٩]

ولتحصينها ، وزيداة حمايتها ، تم تشييد سور حول جميع قصورها ، ويرجع تاريخ إنشاء هذا السور إلى محمد بن الأحمر مؤسس المملكة ، الذى كان قد شرع فى بناء أجزاء منه ، ثم أكمل ابنه محمد الثانى الفقيه باستكمال أجزاء كبيرة من السور ، وعمل على تحصينه .(٨٠)

واستمر البناء والتشييد فى هذا السور ، ولاقى عناية واهتمام سلاطينهم ، حتى كان عهد السلطان أبى الحجاج يوسف الأول ، الذى أتم بناء عدد كبير من الأبراج عليه ، وقام بتشييد أبوابه (٨١).

وبطراز معمارى دفاعى فريد ، تكمل القصبة السور فى ناحية الغرب ، أما عن مادة تشييدها فكانت من الحجارة الصلبة القوية ، المرتفعة إلى حد كبير ، لزيادة الحماية والتحصين (٨٢).

وإن كان سور جبل طارق قد قام الموحدون بتشييده ، إلا أنه لاقى اهتمام وعناية سلاطين مملكة غرناطة ، فبعد استرداده عام ٧٣٣هـ /١٣٣٣م عمد المسلمون إلى إصلاح ما تهدم من أسواره (٨٣).

وفى عام ٧٥٦هـ/١٣٥٥م قام السلطان الغرناطى الغنى بالله محمد الخامس بترميمه ، وتعليته لحماية المدينة. (٨٤)

وإذا كانت مدينة المرية قد شيد مؤسسها عبد الرحمن الناصر أسوارها فى عام ٣٤٣هـ /٩٥٤م (٨٥) ، وأمعن فى تحصينها ، فإن هذه الأسوار قد شهدت عناية كل الدول التى تعاقبت فى حكم دولة الإسلام فى الأندلس ، وقام حكام بنى الأحمر بتجديدها ، والزيادة فيها ، وإصلاح ما سقط منها ، وظلوا يهتمون بسورها حتى سقوطها فى أيدى القشتاليين عام ٨٩٥هـ/ ١٤٩٠م(٨٦)، وشهدت أسوار المرية عدة تجديدات وتحصينات فى عصر بنى الأحمر ، عندما اشتدت وطأة الممالك النصرانية على البلاد الإسلامية (٨٧).

أما عن أسوار المرية فقد كان للمدينة سور كبير من ناحية البحر، واتسم بارتفاعه ومتانته ، لأهميته فى حماية المدينة إذا ما هاجمها العدو بحراً ، كما كان

لها سور تم تشييده لحماية أرباضها وبخاصة ربضها الشرقى لحمايته ، كما تم تشييد سور كبير لحماية ربضها الغربى .(٨٨)

وقد لعب سور المرية دوراً فعالاً كبنية دفاعية فى عام ٧٠٩هـ /١٣٠٩م(٨٩)، حينما هاجمت القوات الأراجونية المدينة ، وفرضت حولها الحصار القوى ، وعلى الرغم من أن آلات الحصار الأراجونية كانت حديثة وقوية ، فإنها لم تتمكن من اقتحام أسوار المرية لمتانتها وقوتها ، وارتفاعها (٩٠).

أما عن السور من الناحية المعمارية ، فكان يتألف من ممشى فى أعلاه ، يسير عليه المحاربون وقت هجوم الأعداء على المدينة أو الحى ، يطلق عليه ممشى السور ، والسور به عدد من الشرفات مهمتها أن يقذف منها بالسهام ، لرد العدو وتخويفه ، وبه أيضاً بعض الأماكن صممت للاحتماء بها من العدو . (٩١)

وتشهد بقايا السور الذى تم تشييده حول مدينة غرناطة العاصمة على متانة بنائه وعظمة تشييده ، وتبقى من السور حتى الآن أجزاء فى الجهة الشمالية الغربية، تمتد نحو كيلو متر ، كما بقيت بعض أجزاء من سور الجهة الشرقية .(٩٢)

ومما سبق يتضح أن الفكر الحربى الأندلسي على مدار تاريخ دولة الإسلام فى بلاد الأندلس كان مهتم بالسور لدوره الحيوى ، حتى أنهم تخطوا أسوار المدن، وشيدوا الأسوار حول الأماكن السكنية ، وكل ذلك بقصد الحماية والتحصين ، والمنعة من العدو.

وتشير كثرة التحصينات ، والاهتمام بالأسوار من حيث متانة البناء ، وقوة مواده ، لمؤشر سياسي ، وهو الخوف المستمر من الممالك النصرانية ، التى كانت قد قويت شوكتها فى تلك الفترة ، وأضحت تهاجم الأراضى الإسلامية ليل نهار ، ومن هنا يمكن الجزم أن المسلمين فى مملكة غرناطة زاد حجم الإنفاق العسكرى عندهم عمن سبقوهم من الدول التى حكم بلاد الأندلس ،أو تلك التى عاصرتهم فى بلاد المغرب ، بسبب عدم الشعور بالأمان الذى دفعهم ، وهو ما دفعهم لتشييد بنية دفاعية، قد تكون من وجهة نظرهم الملاذ الآمن لهم .

- الأبراج:

عرف ابن منظور البرج فى اللغة على أنه كل ظاهر مرتفع ، فالبُرُوج بُرُوج لظهورها وبيانها وارتفاعها [٩٣].

أما الأبراج كونها بنية دفاعية ، فيقصد بها ذلك البناء الذى يكون فى مكان بارز فوق السور ، ومهمته المراقبة ، والدفاع عن السور وعدم اختراقه ، ولها دور حربى فعال على مدار تاريخ المسلمين فى بلاد الأندلس ، حيث دفعتهم الظروف سالفة الذكر ، وكثرة أطماع الممالك المجاورة لهم فى أملاكهم ، للاهتمام بتشييد الأبراج على الأسوار ، لزيادة تحصينها . [٩٤]

أما عن دور بنى الأحمر فى تشييد الأبراج كبنية دفاعية ، فقد اهتموا بها ، وزادوا فيها ، فهذا هو السلطان محمد الثالث[٩٥](٧٠١-٧٠٨هـ/ ١٣٠٢-١٣٠٩م) يأمر بإنشاء خمسة أبراج على سور غرناطة من ناحية فحصها الأخضر لحماية أهل الريف وقت هجوم النصارى عليهم [٩٦] .

وليس ثمة دليل على اهتمام سلاطين بنى الأحمر فى غرناطة ببناء الأبراج أكثر مما ذكره المؤرخ لسان الدين بن الخطيب ، الذى يؤكد أن عدد الأبراج فى المملكة فى عصره بلغ أربعة عشر ألفًا[٩٧].

وكان من الطبيعى أن تزداد أعداد الأبراج فى المدن والموانىء الحيوية ، فلأهمية مدينة مالقة مثلاً ، عمد بنو الأحمر لبناء عدد كبير من الأبراج حولها للزود عنها ، حتى أنها من كثرتها وشدت ضيائها شبهت ببروج السماء[٩٨].

كما ذكر المؤرخ واشنطن إفرنج أنه وقت استيلاء حملة قشتالة على مدينة مالقة فى عام ٨٩٢ هـ / ١٤٨٧م ، كان عدد الأبراج التى تم حصرها بالمدينة حوالى ألف وثلاثين [٩٩].

ويؤكد أن هذه الأبراج كانت عائقاً أمام تقدم الحملة لكثرتها ومتانتها ، واستبسل الجند فى الزود عن أبراجهم بشتى الطرق ، ولولا تسلل أحد القادة بنفسه للبرج الأول

وأشعل النيران فيه ، لما تمكن من الاستيلاء عليه ، ثم تقدم نحو الأبراج الأخرى ، حتى تمكن القشتاليون في النهاية من دخول المدينة بعد سقوط الأبراج فى أيديهم، وتم تدمير عدد كبير من الأبراج . (١٠٠)

ومع ازدياد الضغط النصرانى وبخاصة القشتالى على المدن الإسلامية ، عمد سلاطين غرناطة فى القرن التاسع الهجرى / الخامس عشر الميلادى لزيادة البنة الدفاعية بزيادة أعداد الأبراج ، ومن أهم المدن التى حظيت بعناية واهتمام سلاطين تلك الفترة فى تحصين أسوارها ببناء الأبراج عليها مدينة المرية ، وكانت أغلبها أسطوانية الشكل .(١٠١)

كما اهتم المرينيون بمشاركة بنى الأحمر فى تحصين مدن الأندلس ، ويذكر المورخ ابن مرزوق أن السلطان المرينى أبو الحسن على قام بتحصين مدينة رندة ، وأمر بإنشاء عدد كبير من المنشآت الحربية بها ، وعن ذلك يذكر"... وفى بلدة رندة من آثار البناء المحدث عن أمره والمعاقل المحصنة والأبراج الشامخة.." (١٠٢)

كما أن المسلمين فى بلاد الأندلس فى عصر بنى الأحمر زادوا من بناء وتشييد أبراج المراقبة والمعروفة فى تلك الفترة باسم أبراج الطليعة Torres Atalaya ، المستمدة اسمها من الكلمة العربية الطليعة ، ويتم تشييدها على ارتفاع كبير حتى تسهل عملية المراقبة (١٠٣) ، وتكمن المهمة الحربية له فى استكشاف الخطر ، وهو دور الموجودين به (١٠٤) وأطلق عليه ابن بطوطة اسم الناظور ، ولذلك سمى البرج أحياناً ببرج الناظور ، فإذا ما وجد أن هناك خطراً أو هجوماً ، يقوم على الفور بتبليغ ذلك حتى ينتشر الخبر ، ويستعد الجميع لرد الخطر ، يدلل على ما سبق أن الرحالة ابن بطوطة أثناء رحلته فى بلاد الأندلس ، وبعد دخوله مدينة سهيل تعرض هو ومن معه لعملية قرصنة على يد قراصنة نصارى ،كانوا فى أربعة أجفان (١٠٥) ، ولم يكن الناظور ببرجه ، ولم ينذر أحد بالخطر الذى داهمهم ، فقتل فارس مسلم ، وتم أسر عشرة (١٠٦).

وللدور الحيوى لأبراج الطليعة كبنية دفاعية ترصد تحركات العدو ، عمدت القوات المعادية فى أغلب هجماتها على تدميره قبل هجومها وبخاصة فى المناطق الحدودية ، لأن هذه الأبراج كانت تمثل عائقاً لهم فى تحركهم نحو المدن الإسلامية ، وتمنع تقدمهم (١٠٧).

ولأهمية أبراج الطليعة فى عملية المراقبة عمد سلاطين بنى الأحمر فى زيادتها حول المدن المهمة كغرناطة والمرية ومالقة ، والجزيرة الخضراء ، وبخاصة الساحلية منها ، للمساعدة فى درء خطر الهجمات المعادية (١٠٨).

ولأن الساحل الغرناطى الطويل كان يحتاج لعدد كبير من الأبراج لمراقبته ، أمر السلطان الغرناطى يوسف الأول بإقامة عدد كبير من أبراج الطليعة عليه ، فقد بلغ إجمالى ما تم تشييده مرة واحدة أربعين برجًا ، كانت كلها على الساحل فقط (١٠٩) .

كما ورث بنو الأحمر عن الموحدين نوعاً من الأبراج عُرف بالأبراج البرانية ، وهذا النوع لم يكن معروف قبل الموحدين ، فهو من ابتكارهم فى فنون الدفاع عن مدنهم ، والهدف من هذا النوع من الأبراج ، تدعيم السور الخارجى للمدينة أو الحى(١١٠) .

ولأن الغرض منه الحماية والدفاع فهو يرتبط بالسور عن طريق ستارة ثانوية تسمى قورجة ، الغرض من وجودها غلق الطريق أمام المهاجمين ، ومنها المربعة الشكل والمثمنة . وقد قاموا بتشييد أبراج على غرارها لتحصين قلعة حكمهم، ومن أشهر هذه الأبراج فى الحمراء برج السيدات ، وبرج مخدع الملكة ، وبرج الأمراء. (١١١)

أما الأبراج بصفة عامة من الناحية المعمارية ؛ بناءٌ حربى قد يأخذ عدة أشكال معمارية ، تميز بها فى بلاد الأندلس عن غيرها من البلدان لتنوع أشكاله ، فقد يأخذ

البرج الشكل المربع ، فقد يظهر على هيئته المربعة من الخارج ، وقد يأخذ الشكل السداسي ، أو الثمانى ، وقد يكون البرج مستدير الشكل. (١١٢)

والأبراج المتعدد الأضلاع سالفة الذكر ، عرف بعضها قديماً فى العمارة الرومانية والبيزنطية ، ومثال لذلك ما كان منها من بقايا على أسوار بعض المدن كإشبيلية (١١٣) .

ومن المعروف أن العمارة الحربية الموحدية والمرابطية قد تأثرت كثيراً فى طريقة بنائها بالعمارة الرومانية والبيزنطية ، ومن هنا قاموا بتشييد أبراج مسدسة ، ومثمنة الشكل ، وورث بنو الأحمر الطرز المعمارية الموحدية وزادوا عليها ، فظهرت عليها بعض التغيرات فى عدد الأضلاع ، فعرفت بالأبراج متعددة الأضلاع.(١١٤)

لكن أشهر الأبراج التى شيدها بنو الأحمر كانت الأبراج المربعة الشكل ، لذلك فضلوها فى أبراج أسوار الحمراء مقر حكمهم ، ومكان إقامتهم . (١١٥)

والأبراج المربعة الشكل التى تم تشييدها على أسوار الحمراء عبارة عن فراغ مكعب الشكل ، إلا أن الجديد فيه أنه يدخل كجزءًا من قصر ، مما يعنى أن تداخلاً كبيراً قد تم بين البنية الدفاعية والعمارة المدنية ، وظل فى تلك الفترة بشكل ملحوظ فى هذا النوع من الأبراج ، ومن الأمثلة الواضحة على هذا النموذج من الأبراج ، برج قصر قمارش Comares وبرج قصر ماشعوقا Machucas وبرج قصر العقائل Damas ، بل ظهرت بعض النماذج الجدية من الطراز الغرناطى الفريد ، حيث شكلت بعض الأبراج قصورًا كاملة ، مثل برج هوميناخ Homenaje وبرج الأسيرة Cantiva ، وبرج الأميرات Infantas. (١١٦)

والبرج كبناء يتألف من نصفين ، النصف الأدنى منه مصمت ، والنصف العلوى منه عبارة عن غرفة ، وسطح البرج لابد من أن ينفتح مع سور الممشى ،

وتعلو جدران البرج شرفات ، وفى بعض الأبراج كانت هناك غرفتان ، واحدة فوق الأخرى والعليا تخصص للحماية . وجدران البرج مزودة بمنافذ لرمى السهام ، وتغطى الغرفة قبوات نصف كروية (١١٧).

ويؤكد العرض السابق أن الحاجة أم الاختراع ، وأن الظروف المحيطة بالمسلمين فى بلاد الأندلس فى تلك الفترة ، وتكالب القوى المجاورة لهم على أملاكهم ، جعلتهم يتفنون فى عملية تشييد البنية الدفاعية ، ومن اهتمامهم الشديد بهذا الأمر ، بدأوا فى التشييد بطرز معمارية ميزتهم عن غيرهم ، علاوة على الطرز التى ورثوها عمن سبقوهم فى حكم بلاد الأندلس .

واتضح أن عمليات تحصين الأسوار بتشييد الأبراج كان أمراً مهماً بالنسبة لهم، ولذلك زادوا فى عدد الأبراج على الأسوار ، بل وصل بهم أن ربطوا الأبراج بالقصور التى يعيشون فيها ، ويدل ذلك على مدى حالة القلق والتوتر من شن الهجوم المباغت عليهم من الممالك النصرانية المجاورة لهم .

كما أنه لخوفهم من أعدائهم اهتموا بأبراج الطليعة أو المراقبة ، وزادوا منها بطول سواحلهم ،وعلى أسوار مدنهم ، وظهرت قدرتهم البنائية فى تصميم هذه الأبراج بطرق هندسية مختلفة .

- **الأبواب :**

بعد عمليات تحصين الأسوار وما عليها من أبراج ، يرتبط بالأسوار بنية دفاعية أخرى لها أهميتها أيضاً ,هى الأبواب ، فالباب إحدى الوسائل الدفاعية المهمة التى تحكم المدينة أو الحى ، فهى المنفذ الوحيد للدخول إلى المدن والأحياء ، ويجعل دخول العدو المدينة أكثر صعوبة ، ويطيل مدة الحصار لفترة لحين التوصل لحلول ، أو حتى إنصراف القوات المعادية لأى من الأسباب .

ولأن الأبواب جزء من الأسوار ، تمثل الفتحات الوحيدة بالسور ، لذا فهى وسيلة دفاعية مهمة ، تستخدم فى رد القوى المهاجمة ، فتعمل الفتحات التى تعلو الأبواب على المساعدة فى الدفاع عن الباب برمى السوائل المحرقة ، وبالأبواب أيضاً فتحات لرمى السهام على المهاجمين . (١١٨)

لذلك كان اهتمام المسلمين فى بلاد الأندلس بتشييد الأبواب فى الأسوار ، والاهتمام بها كبنية دفاعية مهمة ، وتسمى الأبواب بأسماء المناطق التى تتجه إليها إذا ما خرجت منه ، كباب الفحص ، لأنه يطل على الفحص ، وأحياناً يسمى باسم المكان الذى يؤدى إليه فى المدينة إذا ما دخلت منه . (١١٩)

ويدلل على اهتمام بنى الأحمر فى غرناطة بأبواب مدنهم ، أن مدينة غرناطة العاصمة قد زُوِّدَت الأبواب في سورها حتى وصلت لعشرين باباً ، مما يدلل على كثرة سكانها فى تلك الفترة ، وزادوا من متانة هذه الأبواب ، وزودوها بفتحات فى السقف للدفاع برمى السوائل ، وفتحات لرمى السهام . ويدلل على متانة هذه الأبواب أن البعض منها لا يزال حتى الآن بحالته (١٢٠).

واشتهر من أبواب غرناطة العاصمة باب إلبيرة Puerta de Elvira ، والذى يقع فى السور الواقع شمال غربى المدينة ، ومن باب إلبيرة يبدأ شارع إلبيرة، ومن المعروف أنه لا زال يحمل نفس الاسم حتى الآن ، وكان ارتفاع السور فى هذا الجزء قد بلغ حوالى اثنى عشر مترًا ، ولا يزال باقيًا حتى اليوم ، مما يدل على حجم الباب الذى كان موجود به ، وسور بهذا الارتفاع يحتاج لباب أكثر متانة مما يدلل على براعة الأندلسيين فى البناء والتشييد فى تلك الفترة (١٢١).

وما يقال عن مدينة غرناطة وأبوابها يقال أيضاً عن مدينة المرية ، فأسوارها المرتفعة الطويلة ، التى حظيت باهتمام سلاطين بنى الأحمر ، فزادوا فى أبراجها ، حظيت أبوابها أيضاً باهتمامهم ، من حيث كثرة الترميم ، والزيادة فيها كلما

اقتضت الحاجة ، وقد اشتهر من أبواب المرية باب موسى ، أحد أعلام المدينة فى عصور سابقة ، وباب بجانة المطل على مدينة بجانة ، وباب السودان ، وباب المربى ، وباب دار الصناعة ، الذى يطل على دار الصناعة فى المرية ، وباب الزياتين، المطل على حى الزياتين ، وباب البحر الذى من اسمه يتضح أنه على البحر (١٢٢).

وأن المسلمين فى تلك الفترة كانوا قد اهتموا بعمل الأسوار حول الأحياء الكبرى ، كان لابد لهذه الأسوار من أبواب ، فكان السور الذى تم تشييده لحمايته يشمل على ثلاثة أبواب ، زادوا فى تحصينها ،وهى باب البيازين Puerta de Albaicin ويقع فى نهاية السور ، وباب فحص اللوز أو فج اللوزة Puerta de Fajalauza وباب الزيادة Puerta de Las Pesas (١٢٣).

ويتضح من العرض السابق أن الأبواب إحدى حلقات التحصين والبنية الدفاعية فى الندلس عبر تاريخه ، ولكن يمكن القول أن بناء الأسوار حول المدن، وترميم ما تهدم منها باستمرار فى عهد سلاطين بنى الأحمر ، قد عمل على اهتمامهم بأبواب هذه الأسوار ، فزادوا فى متانتها ، وزادوا فى أعدادها نظراً لازدحام المدن بالسكان ، وبخاصة أن عصر بنى الأحمر كان قد شهد سقوط الكثير من المدن الإسلامية وفضل سكانها من المسلمين الهجرة إلى المدن التى كانت لا تزال فى حوزة المسلمين ، ومن هنا ارتفعت أعداد السكان فى كثير من المدن وبخاصة مدينة غرناطة ، ومالقة والمرية ، وتطلب ذلك زيادة فى التحصين، وتشييد الأسوار ، وزيادة أعداد الأبواب المحصنة بها . كما شيدوا أسواراً حول الأحياء الكبرى لحمايتها وزودوها بالأبواب .

- **القصبات :**

تزداد البنية الدفاعية كلما اتجهنا نحو الداخل ، حيث مناطق إقامة السكان، ففى الخارج تقام الحصون والأربطة، ثم الأسوار المزودة بالأبراج ،علاوة على أبوابها المحصنة ، ثم أسوار الأحياء السكنية حتى يكون الناس أكثر أماناً ، ثم أخيراً الملاذ الآمن وقت هجوم الأعداء ، المكان الذى يمكن أن يكون ملجأ يتحصن به الناس وقت الخطر ، ألا وهى قصبة المدينة ، التى تعتبر آخر ما كان من بنية دفاعية داخل المدن والأحياء السكنية .

وتزداد القصبات فى البناء والتحصين فى المدن الكبرى المأهولة بالسكان ، مثل غرناطة العاصمة ، والمرية ومالقة ووادى آش ،وغيرها من المدن ذات الكثافة السكانية . (١٢٤)

وقد اهتم سلاطين غرناطة بقصبات المدن لحماية رعاياهم أثناء هجوم الممالك النصرانية عليها ، فيذكر المؤرخ ابن الخطيب أن السلطان الغرناطى محمد الخامس الغنى بالله سعى بجدية لتحصين المدن من الداخل عن طريق تشييد وترميم قصبات المدن ، ومنها ثغر أرجدونة Arehidona(١٢٥) ، الذى أمر بتجديد قصبته ، وإعادة بنائها وتحصينها بعد تخريبها فى غارات قشتالية ، وتكلفت القصبة عشرين ألف دينار من الذهب(١٢٦) .

كما اهتم بنو الأحمر بقصبة قصر الحمراء فى غرناطة العاصمة ، وتعتبر من أهم القصبات فى تلك الفترة ، فقد اهتموا بتحصينها أيما تحصين ، وتنقسم قصبة الحمراء إلى ثلاثة أقسام ؛ أهمها القسم العسكرى شمالى شرق القصر ، والمسماه القصبة الجديدة ، والقسم العسكرى هذا عبارة عن قلعة محصنة مهمتها حماية قصر الحمراء ، وأهم ما يميزها وجود برجين بها ، أحدهما يعرف ببرج الحراسة أو برج الشمعة ، والقصر الملكى يقع فى وسط الحمراء ، ثم الجزء المعروف بالحمراء

العليا ، ويضم المسجد ، ومجموعة من البيوتات كانت مخصصة للخدم والحرفيين. (١٢٧)

وتأتى مدينة مالقة العاصمة الثانية لدولة بنى الأحمر بعد مدينة غرناطة فى المرتبة الثانية من حيث فخامة وحصانة قصبتها ، وليس ثمة دليل على متانتها وقوة بنائها من أن أجزاء عديدة منها لا زالت باقية حتى الآن، تشهد على عظمة البناء والتشييد، وقد اختار مؤسسها الأمير الأموى عبد الرحمن الداخل مكانها بعناية فائقة ، فقد اختار مكانها على منحدر صخرى قريب من البحر ، وقد تم تجديد هذه القصبة وزيد فيها فى عصر الطوائف . (١٢٨)

وقصبة مالقة كانت فى شكلها المعمارى عبارة عن قلعة محصنة ، يحاط بها سور عليه عدد من الأبراج لحمايته ، والقصبة كانت تجمع بين العمارتين المدنية والحربية ، فهى تضم ملحقات عبارة عن أبنية سكنية ، وكان لبنى الأحمر بصمتهم فى زيادة هذه المبانى ، وترميم ما تهدم منها باستمرار ، وزيادة أبراج الأسوار (١٢٩).

ولأن القصبة بناء دفاعى يتحصن به أهل المدينة إذا ما تعرضوا لخطر داهمهم ، كانت أسوار قصبة مالقة شاهقة الارتفاع للعمل على زيادة التحصين ، وبهذه الأسوار اثنا عشر بابًا ، كما كانت مزودة بأبراج ضخمة مربعة الشكل تمتد من مسافة لأخرى وبلغت أبراج القصبة مائة وعشرة أبراج كبيرة عدا الصغيرة(١٣٠).

ومن أهم ملحقات القصبة فى مالقة قصر غاية فى الفخامة ، ومجموعة من الدور الصغيرة ، ولا تقل أهمية عن القصر ، ربما كانت مخصصة لكبار الزوار. (١٣١)

أما عن قصبة مدينة المرية ، التى لا تقل أهمية عن قصبات مالقة وغرناطة، فمدينة المرية من المدن المهمة فى تلك الفترة ، وتقع هذه القصبة فى الجزء الشمالى

من المدينة ، وهى الأخرى تم اختيار ربوة عالية لإقامتها ، وكانت ربوة صخرية ، يبلغ ارتفاعها عن سطح الأرض خمسة وستين مترًا ،وتشرف القصبة على ميناء المرية(١٣٢).

وعمل ارتفاع القصبة على زيادة وظيفتها من حيث حماية المدينة بتحصن الناس بها وقت الخطر ، وهى تشرف من فوق هذه الربوة على كل أركان المدينة ، ولأنها بنية دفاعية كانت القصبة تتصل بوسط المدينة بباب ، كما أنها كانت مزودة بباب شرقى يخرج من أسوار المدينة ، وبالقصبة مسجد جامع لا تزال آثاره باقية حتى الآن(١٣٣) .

وتعتبر قصبة المرية غاية فى بنيانها ، فقد اهتم بنو الأحمر بها ، وزادوا فى تحصينها ، وهى عبارة عن ثلاثة مرتفعات غير متساوية يفصل بين كل منها سور ، الأول يقع غربى القصبة ، وهو أعلى الأجزاء الثلاثة ، وهذا الجزء من القصبة هو معقلها المنيع ، ومزود بعدد من الأبراج الأسطوانية الشكل ، والجزء الثانى مربعًا فى شكله منبسطًا فى سطحه ، ويضم قصر القصبة، والثالث كان يضم بساتين وحدائق ، ولأنها بناء دفاعى كان سور قصبة المرية يشمل على عدد من الأبراج لحمايته. (١٣٤)

كما أن مدينة وادى آش اشتهرت قصبتها لجمال صنعتها ، يشهد على ذلك ما تبقى منها من آثار حتى الآن ، وتكمن مواطن تحصينها ، وقوتها باختيار مكانها ، فوق ربوة عالية ، وهى أعلى مكان بهذه الربوة ، ومحاطة بسور به برج كبير وبرجان صغيران مقابلين له ، وبرج رابع فى زاوية منعزلة ، وهذه الأبراج ترى كل أركان المدينة بوضوح . (١٣٥)

ويمكن القول:إن المدن الأندلسية شهدت بنية عسكرية أكثر من غيرها من المدن الإسلامية فى المغرب الإسلامى ، وكذلك فى المشرق ، حتى أنهم كانوا

يتفنون فى عمليات التشييد والبناء لهذه الاستحكامات ، فتميزت بطرز معمارية ميزتها عن غيرها .

ويمكن الربط هنا بين الحالة السياسية والاقتصادية وما تعرضت له هذه المملكة من مخاطر ، وبين العمارة الحربية ، فالعمارة الحربية فى المملكة كانت مرآة شفافة للحالة السياسية التى عاشتها ، فبشكل مباشر انعكس الخوف من المجهول ، وتعرض البلاد لكثير من الهجمات على أملاكها ، لتوجيه مزيد من الإنفاق لتشييد البنية الدفاعية ، ولأن الحاجة أم الاختراع بدت البنية الدفاعية فى طرازها المعمارى مختلف إلى حد كبير عن مثيلاتها فى المشرق الإسلامى وبلاد المغرب ، على النحو سالف الذكر ، ربما للطبيعة الجغرافية ، أو ميراث معمارى ورثه المسلمون فى بلاد الأندلس فى تلك الفترة من أسلافهم ، الذين تغنو بالمعمار المدنى والعسكرى ، وأتقنوه بشكل أذهل العالم ، ولا زال ، تشهد على ذلك المنشآت التى لا تزال تقف شامخة، تشهد على حضارة إسلامية معمارية مزدهرة ، فعلاوة على العمارة المدنية ، لا تزال بقايا الأسوار ، والأبراج ، والقصبات ، والحصون تشهد بذلك إلى الآن .

الخاتمة

خلُص الباحث من هذا البحث بعدة نتائج منها:

- فرض وجود المسلمين فى بلاد الأندلس – وما يحاك بهم من مخاطر – عليهم ضرورة عسكرية حربية وهى الاهتمام بالبنية الدفاعية والاستحكامات العسكرية ، ذلك أن الله تعالى قد فرض عليهم الجهاد والنفير المستمر ، ومن هنا كان عليهم تحمل كامل المسؤلية تجاه الزود عن بلادهم ضد أطماع الممالك النصرانية المحيطة بها .
- كان الموقع الجغرافى لمملكة غرناطة من أهم النعم التى منَّ الله سبحانه وتعالى على أهل تلك البلاد فكانت محصنة طبيعيًا إلى حد كبير ، فكانت كل مدينة من مدن الأندلس تتميز بميزة فى موقعها إما أن تكون محصنة من ناحية البحر فيتم إقامة سور على البحر فى تلك الجهة فيأمن المسلمون شر الهجوم على مدنهم من ناحية البحر ، أو أنها تطل على أحد الجبال التى يحميها من الهجمات المسيحية أيَضًا ، أو أن نهرًا من الأنهار تطل عليه المدينة فتكون فى مأمن من تلك الجهة .
- لم يحظ تشييد الاستحكامات الدفاعية فى عصر بنى الأحمر باهتمام سلاطين بنى الأحمر فحسب بل شارك فيه الأندلسيون كافة، وعمل العلماء والفقهاء فى تلك الفترة على بث روح التعاون فيما يخص هذا الأمر ، فضرب المسلمون فى بلاد الأندلس أروع المثل فى ذلك. كما أن سلاطين بنى مرين كانت لهم البصمة فى تشييد البنية الدفاعية فى بلاد الأندلس ، وهذا قليل من كثير قدمته دولة بنى مرين لدولة بنى الأحمر ، وكان من حسن طالع دولة بنى الأحمر أنها تأسست فى نفس الفترة التى قامت فيها دولة بنى مرين فى بلاد المغرب .

- تشـــهد العمارة الأندلســـية فى عصـــر بنى الأحمر على أحد أهم الفنون الإســـلامية وهو فن العمارة الأندلســـية التى تطورت ووصـــلت إلى أوج إزدهارها فى بلاد الأندلس فى تلك الفترة ، فكانت قد ازدادت خبرة المسلمين وتبلورت فضـــربوا أروع المثل فى مبانيهم بصـــفة عامة ، وبنيتهم الدفاعية بصـفة حاصـة، فظهرت المبانى الحربية فى شـكل يختلف عن طراز البلاد الإسلامية الأخرى فى بعض ملامحه ، تشهد بذلك ، القلاع ، والقصبات ، والحصـون ، والأبراج ، والأربطة ، والأسـوار التى لا تزال بعضـها شـاهدة على ذلك حتى الآن .
- تعكس البنية الدفاعية لبنى الأحمر ، وحرصـــهم الشـــديد عليها ، ومداومة الاهتمام بها ، ومتابعة الســـلاطين لهذا الأمر ، الحالة التى كان يعيشـــها المسـلمون فى بلاد الأندلس فى تلك الفترة ، فخريطة البنية الدفاعية تشـير إلى التحصـــين والحماية من الخارج للداخل ، ففى المناطق الحدودية ، وخارج المدن يتم بناء الحصـون والتشـديد فى تحصـينها ، ثم تتجه للداخل فتجد الأسـوار المزودة بالأبراج ،والمحصـنة الأبواب ، ثم تقابلك أسـوار المناطق السـكنية المكتظة ، ثم الحصـن الأخير والملاذ الآمن وقت هجوم الأعداء وهى القصبة التى تعتبر ملجأ يتحصن به المسلمون من أعدائهم ، وبسقوطها تسقط المدينة فى الغالب .

(١) معركة العقاب Las Navas de Tolosa: من أشهر معارك المسلمين فى بلاد الأندلس ، بين الجيش الموحدى بقيادة الخليفة الموحدى محمد الناصر ، وجيش الممالك النصرانية بزعامة مملكة قشتالة ، وبقيادة ملكها ألفونسو الثامن Alfanso VIII ، وقد وقعت هذه المرعة قرية العقاب بين جيان وقلعة رباح وانهزم فيها المسلمون . انظر: عبد الواحد المراكشى: المعجب فى تلخيص أخبار المغرب – تحقيق محمد زينهم، القاهرة، ١٩٩٤م،ص٢٦٥؛ ابن عذارى: البيان المغرب فى اختصار ملوك الأندلس والمغرب– تحقيق اميروس هويشى ميرانده، محمد بن تاويت، الرباط، ١٩٦٢، جـ٣، ص٣٤٠–٣٤٣؛ صبحى عبد المجيد إدريس: عصر الخليفة الناصر الموحدى فى المغرب والأندلس– رسالة دكتوراة ، آداب طنطا، ١٩٩٩م، ص١٥٨–١٦٠.

(٢) الغالب بالله ابن الأحمر: أبو عبد الله محمد بن يوسف بن أحمد بن محمد بن خميس بن نصر بن قيس الخزرجى الأنصارى، يعرف بالشيخ، يعود نسبه إلى سعد بن عباده سيد الخزرج ، ولد فى عام ٥٩١هـ/ ١١٩٥م فى بلدة أرجون Arjona التابعة لقرطبة . انظر: ابن الخطيب: الإحاطة فى أخبار غرناطة تحقيق عبد الله عنان، القاهرة،مكتبة الخانجى ، ط١٩٧٤،١م ، جـ٢، ص٩٢؛ اللمحة البدرية فى الدولة النصرية– تحقيق لجنة التراث العربى، لبنان،دار الآفاق الجديدة، ط٣، ١٩٨٠م، ص٣٣.

(٣) ابن الخطيب: أعمال الأعلام فيمن بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام – تحقيق ليفى بروفنسال، بيروت، دار المكشوف،ط ١٩٥٦،٢م ، ق٢، ص٢٨٦؛الإحاطة،جـ٢، ص٩٨؛ اللمحة البدرية، ص٤٧

(٤) قرطبة Cordoba : من أعظم مدن الأندلس الإسلامية وأشهرها ، منارة العلم ، وقبلة العلماء وطلاب العلم ، اتخذها بنو أمية فى الأندلس عاصمة لدولتهم ، كما كانت عاصمة للعلم والأدب ، ومنارة لشتى العلوم ، وتقع على على الضفة اليمنى لنهر الوادى الكبير، على سفح جبال قرطبة ، المتفرعة من سلسلة جبال سيرا مورينا Sierra Morna ، التى تمتد شمال المدينة . انظر: الزهرى: كتاب الجغرافية،– تحقيق محمد حاج صادق، القاهرة، مكتبة الثقافة الدينية ، د.ت ،ص٨٦–٨٧؛ الحميرى : الروض المعطار فى خبر الأقطار – تحقيق إحسان عباس، بيروت،مكتبة لبنان، ط٢، ١٩٨٤م.، ص٤٥٦–٤٥٩

(٥) مرسية Murcia : مدينة مشهورة فى شرق الأندلس ، قرب بلنسية وكانت قاعدة إقليم تدمير ، وهى من تشييد الأمير الأموى الحكم بن هشام ، وتقع على نهر كبير. انظر : الحميرى : الروض المعطار ، ص٥٣٩–٥٤٠

(٦) ابن الخطيب: اللمحة البدرية، ص٤٧.

(٧) مدينة جيان Jaen : مدينة من أقدم المدن بالأندلس ، خصبة الأرض موقعها شرق قرطبة ، وقريبة من مدينة إلبيرة Elvira ، وبينها وبين مدينة بياسة مسافة تقدر بعشرين ميلاً .انظر: ياقوت الحموى : معجم البلدان ، دار صادر ، بيروت، ، ١٣٨٨هـ. جـ٢، ص ١٩٥؛ الحميرى: الروض المعطار،ص ص١٨٣–١٨٤ .

(٨) المقرى: نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب– تحقيق إحسان عباس، بيروت،مؤسسة الرسالة، ١٩٨٨م ،جـ٦، ص٢٢٣ .

(٩) إشبيلية Sevilla : من المدن الأندلسية المشهورة ، لا تقل أهميتها عن مدينة قرطبة ، عرف عنها أنها عروس الأندلس ، مدينة صناعية وزراعية ، وأطلق عليها المسلمون حمص الأندلس ، حيث جرت العادة أن يطلق المسلمون فى الأندلس على مدنه أسماء بعض المدن الشرقية . انظر: الزهرى : كتاب الجغرافية، ص٨٨.

(١٠) ابن عذارى: البيان المغرب، جـ٣، ص ، ص ٢٧٠ ، ص ٣٢٢٠ ، ص ٣٦٧؛ ابن الخطيب: أعمال الأعلام، ق٢، ص٢٨٠؛ الإحاطة، جـ٢، ص١٣٠ ، ص ١٣٢ .

(١١) بلنسية Valencia: أعظم مدن شرق الندلس وقاعدته الحصينة ، و هى مدينة ساحلية ، وميناء حيوى مشهور ، على ساحل البحر المتوسط ، وهى إلى الشرق من مدينة قرطبة . تحولت بعد سقوطها لعاصمة مملكة أراجون لأهميتها وموقعها الحيوى .انظر: الزهرى: كتاب الجغرافية، ص١٠٢؛ ياقوت الحموى : معجم البلدان، جـ١، ص ٤٩٠؛ الحميرى : الروض المعطار، ص٩٧-١٠١..

(12).Angus Mackay: La España. de La Edad Media ,desde la frontera hasta el Imprerio - 1000-1500- Madrid, 1977.p. 72

(١٣) محمد محمود النشار : دراسات فى تاريخ أسبانيا والبرتغال – القاهرة ،٢٠٠٧م،، ص١٠٧-١١٣

(١٤) المرية Almeria : مدينة من أهم المدن الأندلسية ، شيدها الخليفة الأموى عبد الرحمن الناصر فى عام ٣٤٤هـ/ ٩٥٦م ، وهى مدينة ساحلية تقع جنوب شرق الأندلس ، وزادت أهميتها فى عصر بنى الأحمر ، لشهرتها بالعديد من الصناعات ، كما أن بها ميناء مشهور ، كانت التجارة العالمية تمر به فى تلك الفترة بشكل مستمر ، لذلك حاولت كل من قشتالة وأراجون الاستيلاء عليه كثيراً . انظر: الزهرى : كتاب الجغرافية، ص١٠١؛ الحميري : الروض المعطار، ص١٨٣-١٨٤؛

A. Rahman Zaki: Islamics Words- Cairo, 1965, p.285

(١٥) ابن غالب : قطعة من كتاب فرحة الأنفس عن كور الأندلس ومدنها بعد الأربعمائة – تحقيق لطفى عبد البديع ، مجلة معهد الدراسات الاسلامية ، مدريد ،١٩٥٥م ، ص١٤ – ١٥ ؛ الحميرى: الروض المعطار ،ص ١٨٤؛ أحمد مختار العبادى : سات فى تاريخ المغرب والأندلس – مؤسسة شباب الجامعة ، الإسكندرية، ، ١٩٦٨م، ص ٣٩٤.

(١٦) مالقة Malaga: مدينة ساحلية أندلسية مشهورة ، تقع على ساحل البحر المتوسط ، فى جنوب شرق الأندلس ، تعتبر العاصمة الثانية لمملكة غرناطة بعد مدينة غرناطة ، بها ميناء بحرى مشهور ، شهد عمليات تجارية كبيرة فى العصور الوسطى ، اشتهرت بصناعات عديدة منها صناعة تمليح الأسماك ، وصناعة الفخار ، واشتهرت بزراعة وتصدير التين المالقى ،أفضل أنواع التين فى بلاد الأندلس . انظر: ابن الخطيب: مفاخرات مالقة وسلا– ضمن مشاهدات لسان الدين بن الخطيب، تحقيق أحمد مختار العبادى ، مؤسسة شباب الجامعة ، الإسكندرية ، ١٩٨٣، ص٥٧.

(١٧) الإدريسى : نزهة المشتاق فى اختراق الآفاق– مكتبة الثقافة الدينية ،القاهرة ، د . ت ، ص ١٧٩ : ابن الخطيب : مفاخرات مالقة وسلا ، ط١ ، ١٩٨٣، ص ٦١ ؛ الحميرى : الروض المعطار ، ص ٧٤ .

(١٨) ابن غالب : فرحة الأنفس ، ص ٢٥ ؛ ابن الخطيب : الإحاطة ، جـ١ ، ص١١٥ – ١٢٤ ؛ أحمد مختار العبادى : تاريخ المغرب والأندلس ، ص ٣٩٣

(١٩) ابن بطوطة : رحلة بن بطوطة ، بيروت ،دار الكتب العلمية، ط ٢، ١٩٩٢ ، ص٦٧٠ – ٦٧١ ؛ أحمد مختار العبادى : تاريخ المغرب والأندلس–، ص ٣٩٣

(٢٠) ابن الخطيب: معيار الاختيار فى ذكر المعاهد والديار – ضمن مشاهدات لسان الدين بن الخطيب، تحقيق أحمد مختار العبادى، الإسكندرية، شباب الجامعة ، ط١٩٨٣،١، ص٧٤–٧٥؛ أحمد مختار العبادى: تاريخ المغرب ، ص٤٠٣–٤٠٤.

(٢١) ابن الخطيب: معيار الاختيار ضمن مشاهدات، ص٧٤–٧٥

(٢٢) قامت دولة بنى مرين على أكتاف من نسبت لهم وهم بنى مرين ، الذين ينتمون لقبيلة زناتة البربرية المشهورة ، ، درات بينهم وبين الموحدين عدة حروب سبقت قيام دولتهم ، وكان زعيمهم فى البداية أبو بكر بن حمامة ، ثم خلفه أبو خالد محيو بن أبى بكر ، وعندما دب الضعف فى دولة الموحدين استقل أبو محمد عبد الحق المرينى بمكناسة وتازا ، ثم تدعمت أركان الدولة فى عهد أبى سعيد عثمان بن عبد الحق . وفى عام ٦٦٨هـ/١٢٦٩م تمكن الأمير أبو يوسف يعقوب بن عبد الحق المرينى من إنهاء حكم الموحدين والاستيلاء على العاصمة مراكش . انظر : ابن أبى زرع : الأنيس المطرب بروض القرطاس– دار المنصور ، الرباط، ١٩٧٣م ، ص٢٧٨–٢٩٠؛ ابن الأحمر : النفحة النسرينية واللمحة المرينية– تحقيق عدنان محمد آل طعمة، دمشق، دار سعد الدين للنشر ،ط٢، ١٩٩٢م ، ص٣١–٣٥؛ : محمد عيسى الحريرى : تاريخ المغرب والأندلس فى العصر المرينى – الكويت ،دار القلم، ط٢ ، ١٩٨٧م ، ص٣–٣٦.

(٢٣) ابن الخطيب: معيار الاختيار، ص٧٤–٧٥؛ أحمد مختار العبادى: تاريخ المغرب والأندلس، ص٤٠٣–٤٠٤

(٢٤) أحمد مختار العبادى : تاريخ المغرب والأندلس ، ص ٣٩٣

(25).Andrés Giménez Soler: Expedición de Jaime II a la ciudad de Almeria, el Sitio de Almeria (1309) – Barcelona, 1903-1904, pp. 56-57

(٢٦) جزر البليار Baleares :كانت تعرف بالجزائر الشرقية ، وتقع فى البحر المتوسط شرق الأندلس ، وتضم ثلاث جزر مشهورة ومعروفة الأولى ميورقة Majorque ، وعاصمتها مدينة ميورقة ، الواقعة قبلى الجزيرة، والثانية جزيرة منورقة Minorque ، وقاعدتها مدينة منورقة ، وهى جزيرة مستطيلة قليلة العرض، بينها وبين ميورقة فى البحر خمسون ميلاً، والثالثة جزيرة يابسة Iviza . انظر: الحميرى: الروض المعطار ، ص١٨٥–١٨٨؛ هانز وردولف: قائمة بأسماء الأماكن – مجلة معهد الدراسات الإسلامية، مدريد، ١٩٧٠م، مجلد ١٥، ص١٦١

(27).Angus Mackay: La España. de La Edad Media , p. 72

(٢٨) أبو عبد الله الزهرى: كتاب الجغرافية ،ص ٩٨؛ ابن الخطيب: الاحاطة، جـ١، ص ٩١؛ ابن فضل الله العمرى: وصف إفريقية والمغرب والأندلس من كتاب المسالك والممالك- تحقيق حسن حسنى عبد الوهاب، تونس،مجلة البدر، ١٣٤١هـ، ص ٣٧.

(٢٩) الزهرى : كتاب الجغرافية،ص٩٣-٩٤؛ أحمد محمد الطوخى: مظاهر الحضارة فى الأندلس فى عصر بنى الأحمر – مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، ١٩٩٧م ، ص٥١

(٣٠) ابن الخطيب: خطرة الطيف فى رحلة الشتاء والصيف- ضمن مشاهدات لسان الدين بن الخطيب ،تحقيق أحمد مختار العبادى ،الإسكندرية، شباب الجامعة، ط١ ، ١٩٨٣م ، ص ٣٦.

(٣١) الزهرى: كتاب الجغرافية ، ص٩٦ ؛ الحميرى: الروض المعطار ، ص٣٤٣-٣٤٤

(٣٢) وادى آش Guadix : مدينة قريبة من غرناطة يقع فى الشرق منها جبل شيلر أو جبل الثلج وتقع على ضفة نهر ينبع بالقرب من الجبل. مشهورة بكثرة الزروع والثمار المتنوعة خاصة التوت والأعناب والزيتون. انظر :الحميرى: الروض المعطار ، ص٦٠٤-٦٠٥؛ المقري: نفح الطيب ، جـ ١، ص ١٤٨.

(٣٣) محمد عبد الله عنان:الآثار الإسلامية الباقية فى أسبانيا والبرتغال- مكتبة الخانجى ، القاهرة، ،ط٢، ١٩٩٧، ص ٢١٥.

(٣٤) محمد أحمد أبو الفضل: تاريخ مدينة المرية الأندلسية فى العصر الإسلامى – دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية ، ١٩٩٦م ، ص ١٤٠

(٣٥) ابن الخطيب : مفاخرات مالقة وسلا،ص٨٧ – ٨٩ ؛ الحميرى : الروض المعطار ، ص١٧٧ – ١٧٨ ؛ أحمد مختار العبادى : صور من حياة الحرب والجهاد فى الأندلس- منشأة المعارف، الإسكندرية ، ٢٠٠٠م، ص ٢٤٧؛ Guillén Robles,F:Málaga Musulmana, Málaga, 2ed, 1957, Vol.,I, pp.30-31

(٣٦) محمد عبد الله عنان:الآثار الإسلامية ،ص ٢٤٢

(٣٧) هو السلطان يوسف بن إسماعيل بن فرج بن إسماعيل بن يوسف بن نصر الأنصارى الخزرجى، تولى بعد وفاة شقيقه محمد بن إسماعيل، وكان عمره وقتها خمسة عشر عاماً وثمانية أشهر. توفى فى عام ٧٥٥هـ/١٣٥٤م، مقتولاً على يد رجل مخبول، يوم عيد الفطر. عنه انظر:ابن الخطيب: أعمال الأعلام ، ق٢، ص ص٣٠٤-٣٠٦؛ الإحاطة، جـ٤، ص٣١٨-٣٢٠؛ محمد كمال شبانة: يوسف الأول سلطان غرناطة – القاهرة،دار الكاتب العربى، ١٩٦٩م، ص٣٠-٥٠.

(٣٨) ابن الخطيب: اللمحة البدرية ، ص١٠٩ .

(٣٩) ابن بطوطة : رحلة ابن بطوطة ، ص ٦٦٨. ابن الخطيب: معيار الاختيار ، ص٧٤-٧٥؛ أحمد مختار العبادى: تاريخ المغرب والأندلس، ص٤٠٣-٤٠٤

(٤٠) ابن الخطيب: أعمال الأعلام، ق٢، ص ص٢٩٧-٢٩٨؛ الإحاطة، جـ١، ص ٥٣٧؛ اللمحة البدرية، ص٩٤؛ ابن خلدون: العبر وديوان المبتدأ والخبر فى تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوى الشأن الأكبر – تحقيق خليل شحاتة ، دار الفكر، بيروت، ط١، ٢٠٠٠م ، جـ٧، ص ٣٣٧.

Crónica de Don Alfonso XI, ed, Rosell, Madrid, 1953, pp. 266-268.

(٤١) ابن مرزوق : المسند الصحيح الحسن فى مآثر ومحاسن مولانا أبو الحسن– تحقيق ماريا خوسيوس بيغبرا، مكتبة الشركة الوطنية ،الجزائر ،ط ١، ١٩٨١ ، ص ص٣٩١–٣٩٢؛ ابن خلدون: العبر، جـ٧، ص ٢٥٦؛ المقرى: نفخ الطيب، جـ١، ص ٤٥١.

Arie R.:L'Espagne Musulmane au Temps des Nasrides(1232-1492) – Paris, 1973, p.159.

(٤٢) أرض الفرنتيرة : هى بسيط قرطبة وإشبيلية وطليطلة وجيان ، آخذه من جوف شمال الجزيرة من الغرب إلى الشرق، ومعناها بالأسبانية الحدود الفاصلة بين دولتين . انظر: ابن خلدون: العبر ، جـ٤، ص٢٢٩.

(٤٣) ابن أبى زرع: الأنيس المطرب ، ص ٣٩٤؛ ابن خلدون: العبر، جـــ٧، ص٣٢٩–٣٣٠؛: السيد عبد العزيز سالم و أحمد مختار العبادى: البحرية الإسلامية فى المغرب والأندلس– بيروت، ١٩٦٩، جـ٢،، ص ٣٠٩؛

Andrés Giménez Soler: Expedición de Jaime II a la ciudad de Almeria , pp. 56-57.

(٤٤) فى عام ٧٤١هـ /١٣٤٠م فرضت القوات الإسلامية مرينية وأندلسية الحصار البرى والبحرى حول مدينة طريف بقصد استردادها من قبضة مملكة قشتتالة ، إلا أنهم فشلوا فى اقتحامها ، وسارع الملك القشتالى ألفونسو الحادى عشر لنجدتها ، وهزمت القوات النصرانية القوات الإسلامية فى السابع من جمادى الأولى سنة ٧٤١هـ/ الموافق ٣٠أكتوبر ١٣٤٠م . انظر : ابن الخطيب: الإحاطة، جـ٤، ص٣٢٢؛ اللمحة البدرية، ص١٠٦؛ ابن خلدون: العبر، جـ٧، ص ص٣٤٦–٣٤٧؛ Huici Miranda (A): Las Grandes Batallas de la Reconquista durante las Invasiones Africans- Madrid, 1956., pp. 340 – 344.

(٤٥) ابن منظور : لسان العرب – تحقيق عبد الله على الكبير وآخرين ، دار المعارف، القاهرة، ، د.ت، المجلد الثانى، جـ١١، ص ٩٠٣.

(٤٦) السيد عبد العزيز سالم : فى تاريخ وحضارة الإسلام فى الأندلس، مؤسسة شباب الجامعة ، الإسكندرية، ، ١٩٨٩م ص ١٣٦–١٣٨.

(٤٧) المرجع نفسه ، ١٣٨.

(٤٨) ابن الخطيب: اللمحة البدرية ، ص١٠٩ .

(٤٩) السلطان محمد الخامس: هو محمد بن السلطان أبى الحجاج يوسف الأول بن إسماعيل بن فرج بن إسماعيل بن نصر. ولد فى ٢٢ جمادى الآخر سنة ٧٣٩ هـ / ٢١ يناير ١٣٣٨م وتولى فى عام ٧٥٥هـ / ١٣٥٤م وتوفى فى عام ٧٩٣ هـ / ١٣٩١م ٠ عنه انظر: ابن الخطيب: الإحاطة، جـ٢، ص ١٣.

(٥٠) ابن الخطيب: الإحاطة ، جـ ٢، ص ٥١–٥٢؛ المقرى:نفح الطيب ، جـ ٩ ،ص ١١٠.

(٥١) محمد عبد الله عنان : الآثار الإسلامية ، ص٢٤٦–٢٤٨.

(٥٢) المرجع نفسه ، ص ٢٤٧–٢٤٨.

(٥٣) مجهول : أخبار العصر فى انقضاء دولة بنى نصر – تحقيق حسين مؤنس ، الزهراء للإعلام العربى ، القاهرة، ، ١٩٩١ ، ص٩٧ – ٩٨ ؛ : مونتغمرى وات : تاريخ أسبانيا الإسلامية– ترجمة محمد رضا المصرى، شركة المطبوعات، لبنان ، ط ١، ١٩٩٢م ،ص ١٥٩؛

Arié, R.: El Reino El Reino Nasri , pp. 95 – 96.

(٥٤) السيد عبد العزيز سالم : فى تاريخ وحضارة الإسلام فى الأندلس، ،ص ١٣٨

(٥٥) محمد عبد الله عنان : الآثار الإسلامية ، ص ص٢١٨–٢٢٠؛

Harvey, L. P Islamic Spain, (1250 – 1500) – London, 1990 p. 288

ويذكر المؤرخ هارفى أن الحصن يبعد عن مدينة غرناطة حوالى ٢٥كم .

(٥٦) السلطان أبو عبد الله محمد المعروف بالزغل هو أخو السلطان المعروف أبو الحسن على ، وعن قصة توليته الحكم ، فقد وقع السلطان أبو عبد الله محمد آخر سلاطين غرناطة أسيراً فى قبضة مملكة قشتالة عام ٨٨٨هـ /١٤٨٢م ، فاتفق أهل الحل والعقد على تولية والده أبو الحسن على ، إلا أنه كان قد فقد بصره ، فتنازل لأخيه أبى علد الله المعروف بالزغل، ودخل فى صراع مرير مع ابن أخيه أبى عبد الله محمد آخر سلاطين غرناطة ، أنهكت المملكة ، وجعلتها لقمة سائغة فى أيدى الممالك النصرانية . انظر: مجهول: نبذة العصر، ص ص ١٨؛ المقرى : نفخ الطيب ، جـ٦، ص٢٦٢؛ محمد عبد الله عنان: أبو عبد الله آخر ملوك غرناطة ،مجلة أدب ونقد ، القاهرة ، عدد ٨٨، مجلد ٩، ديسمبر ١٩٩٢م، ص ٥٠–٥٥.

Luis Seco de Lucena: La Sultana Madre de Boabdil- (Al- Andalus, Madrid Y Granada, Vol. VII, 1947), pp. 369-370.

(٥٧) مجهول : أخبار العصر ، ص٨٧ .

(٥٨) المصدر نفسه ، ص٨٨؛ محمد عبد الله عنان: نهاية الأندلس، ص١٥٧؛

Harvey, L. P Islamic Spain, p. 287.

(٥٩) مجهول : أخبار العصر , ص١١٠ ؛ مونتغمرى وات: فى تاريخ إسبانيا الإسلامية , ص١٥٩ ؛

Arie, R.: El Reino Nasri, p. 103 .

(٦٠) مجهول: أخبار العصر, ص ص١١٤–١١٥ ؛ عبد الرحمن على الحجي : التاريخ الأندلسى من الفتح حتى سقوط غرناطة – دار القلم ، بيروت، ١٩٧٦م, ص ص٥٥٤–٥٥٧ ؛ ماريا دل كارمن بيسكادور: كيف كانت حقيقة سقوط غرناطة فى ضوء وثيقة غير منشورة – ضمن فصول فى تاريخ الأندلس ، بداية النهاية ، ترجمة د/ عبد الفتاح عوض ، القاهرة ، ٢٠٠٠، ص ص٢٣٢ – ٢٣٨ ؛

Harvey, L.P.: Islamic Spain, pp. 315-321; Arie, R.: El Reino Nasri, pp. 106-108

(٦١) يوسف شكرى فرحات : غرناطة فى ظل بنى الأحمر– بيروت،المؤسسة الجامعية،١٩٨٢،ص ٧٢

(٦٢) ابن مرزوق : المسند الصحيح ، ص ص٣٩١–٣٩٢؛ ابن خلدون: العبر، جـ٧، ص ٢٥٦؛ المقرى: نفخ الطيب، جـ١، ص ٤٥١.

Arie R.:L'Espagne Musulmane, p.159.

(٦٣) المقرى : نفح الطيب ، جـ ٥، ص ٤٧٢ .

(64).Ahmad Mujtar Al-Abbadi : El-Reino de Granada en la Ėpóca de Muhamad V- Madrid, 1973, p.132

(٦٥) شلوبانية Salobena : مدينة تقع على ساحل البحر المتوسط على مسافة ١٦ك.م شرقي المنكب، وإليها ينسب العالم النحوي المعروف أبو على الشلوبين, واسمها القديم Salombina . انظر: الحميرى: الروض المعطار، ص ١٣٦؛ ابن الخطيب : معيار الاختيار ضمن مشاهدات لسان الدين بن الخطيب ، ص ٨٠.

(٦٦) هو السلطان أبو عبد الله محمد بن السلطان أبى الحسن على من ابنة عمه عائشة ، قام بعزل والده بعد أن قام بعزله عن ولاية العهد ، وسجنه هو وأخيه ووالدتهما عائشة فى الحمراء، ، وبعد تمكنهما من الفرار واندلاع ثورة عارمة فى غرناطة جلس على عرش المملكة ، وتطلق عليه المصادر والمراجع الأوربية اسم Boadil ، والصغير ElRey Chico، ويلقب أيضاً بالزغيبى، ومعناها المنكوب أو التعس الصغير. انظر: مجهول: نبذة العصر، ص ص ١٨؛ المقرى : نفخ الطيب ، جـ٦، ص٢٦٢؛ أحمد مختار العبادى : تاريخ المغرب و الأندلس، ص ٤٦٣–٤٦٤؛ محمد عبد الله عنان: أبو عبد الله آخر ملوك غرناطة ، ص ٥٠–٥٥.

.Luis Seco de Lucena: La Sultana Madre de Boabdil, pp. 369–370

(٦٧) مجهول: أخبار العصر, ص ص١٠٦–١٠٧ ؛ محمد عبد الله عنان : نهاية الأندلس, ص١٧٦.

(٦٨) ابن الخطيب: خطرة الطيف فى رحلة الشتاء والصيف ، ص ٣٦؛ معيار الاختيار ضمن مشاهدات، ص ٨٥.

(٦٩) ابن منظور : لسان العرب ، ج١، ص ١١٠٨.

(٧٠) البلاذرى: فتوح البلدان، تحقيق صلاح الدين المنجد ، مكتبة النهضة ، القاهرة ، ١٩٥٦، ص ٢٢١ ؛ ناجى جلول: الرباطات البحرية بإفريقية فى العصر الوسيط، مركز الدراسات والبحوث الاقتصادية والاجتماعية ، السلسلة التاريخية ، العدد ٩، تونس ، ١٩٩٩م ، ص ١٥–١٦.

(٧١) عادل الألوسي: مدخل لدرسة الربط الإسلامية ،مجلة المورد العراقية، السنة الثانية ، حزيران ، وزارة الإعلام ، بغداد، ص ٢٣ .

(٧٢) أحمد مختار العبادى : صور من حياة الحرب والجهاد فى الأندلس ، ص ٢٤٧.

(٧٣) السيد عبد العزيز سالم وأحمد مختار العبادى: البحرية الإسلامية فى المغرب والأندلس، جـ ٢ ، ص ٣٠٥ .

(٧٤) بجانة Pechena : مدينة أندلسية ساحلية تسمى أيضًا ألش اليمن لأن الأمويين أنزلوا قبيلة بنى سراج القضاعيين فى هذه المنطقة ، وألزموهم بحراسة الساحل ، بينها وبين المرية خمسة أميال. انظر : الحميرى : الروض المعطار ، ص٧٩-٨٠.

(٧٥) أحمد مختار العبادى : صور من حياة الحرب والجهاد فى الأندلس ، ص ٢٤٧.

(٧٦) محمد عبد الله عنان : الآثار الإسلامية ، ص ١٧٥.

(٧٧) ابن الخطيب: الإحاطة ، جـ١، ص ٥١٧.

(٧٨) يعود تاريخ إنشاء قلعة الحمراء مقر حكم بنى الأحمر إلى بداية دولتهم ، حيث أمر ابن الأحمر بإنشائه بعد استقرار الأمر له فى غرناطة، فقد اختار مكانه بحكمة بالغة ، وسمى بذلك لأن المكان الذى بنيت فيه تربته حمراء ، ويقع قصر الحمراء فى الجانب الشمالى الشرقى من مدينة غرناطة. انظر: ابن الخطيب: الإحاطة ،جـ١، ص ٢٩٦؛ اللمحة البدرية، ص ٤٣.

(٧٩): ابن الخطيب: الإحاطة ،جـ١، ص ٢٩٦؛ أحمد محمد الطوخى: مظاهر الحضارة فى الأندلس، ص ٦٠-٦٠.

(٨٠) محمد عبد الله عنان: نهاية الأندلس، ص٢٨٩

(٨١) ابن الخطيب: الإحاطة ، جـ ٤، ص ٣١٨.

(٨٢) عبد الحكيم الذنون : آفاق غرناطة – دار المعرفة، دمشق ،، ١٩٨٨م، ص ٨٠

(٨٣) ابن مرزوق : المسند الصحيح ، ص ص٣٩١-٣٩٢؛ ابن خلدون: العبر، جـ٧، ص ٢٥٦؛ المقرى: نفخ الطيب، جـ١، ص ٤٥١.

Arie R.:L'Espagne Musulmane, p.159.

(٨٤) ابن الخطيب: الإحاطة ، جـ ٢، ص ٢٣.

(٨٥) الإدريسى : نزهة المشتاق ، جـ٥، ص ٥٦٢؛ الحميرى : الروض المعطار ، ص٥٣٧-٥٣٨.

(٨٦) مجهول : أخبار العصر ، ص ١٠٠ ؛

L.P. Harvey: Islamic Spain, p. 304; Arié, R: El Reino Nasri, p. 100.

(٨٧) السيد عبد العزيز سالم : تاريخ مدينة المرية ، ص ١٤٣.

(٨٨) ابن الخطيب: اللمحة البدرية ، ص ٥٦..

(٨٩) المصدر نفسه ، ص ٧٥ ؛ ابن خلدون : العبر، جـ٧ ، ص٣٢٩-٣٣٠.

(٩٠) ابن الخطيب: اللمحة البدرية ، ص ٥٦.

(٩١) السيد عبد العزيز سالم: تاريخ مدينة المرية قاعدة أسطول الأندلس– القاهرة،دار النهضة ، ط ١، ١٩٦٩ ،ص١٣٦.

(٩٢) محمد عبد الله عنان : الآثار الإسلامية ، ص ١٧٥.

(٩٣)ابن منظور : لسان العرب ، المجلد الأول، جـ٣، ص ٢٤٣.

(٩٤) ابن الخطيب: الإحاطة، جـ ٢، ص ١٢٤؛ أحمد محمد الطوخى : مظاهر الحضارة فى الأندلس، ص ٢١٩.

(٩٥) السلطان محمد الثالث : محمد بن محمد بن محمد بن نصر ، وهو ثالث السلاطين من أسرة بنى الأحمر ، كان والده قد قربه منه فى فترة حكمه ، لقب بالمخلوع لأنه خلع من الحكم عام ٧٠٨هـ/١٣٠٨م ، كان ضعيف البصر، لمواصلة السهر، ومباشرة أنوار ضخام الشمع ، وكان شاعراً، يقرض الشعر. تولى فى يوم وفاة والده فى يوم الأحد الثامن من شعبان سنة ٧٠١هـ/ الثامن من أبريل ١٣٠٢م، وتوفى فى آخر شهر شوال سنة ٧١٠هـ/ مايو١٣٠٩م. انظر: ابن الخطيب: الإحاطة ،جـ١،ص٥٤٣-٥٤٤؛ اللمحة البدرية، ص ٦١.

(٩٦) أحمد محمد الطوخى : مظاهر الحضارة فى الأندلس، ص ٢١٩.

(٩٧) ابن الخطيب: الإحاطة، جـ ٢، ص ١٢٤.

(٩٨) أحمد مختار العبادى : صور من حياة الحرب والجهاد فى الأندلس، ص ٢٤٧.

(٩٩) واشنطن إفرنج: أخبار سقوط غرناطة- ترجمة هانى يحى نصرى ،بيروت، الانتشار العربى للنشر، ٢٠٠٠م، ص٢٨٣.

(١٠٠) المرجع نفسه ، ص٢٨٣-٢٨٤.

(١٠١) السيد عبد العزيز سالم : تاريخ مدينة المرية الإسلامية، ص ١٤٤.

(١٠٢) ابن مرزوق: المسند الصحيح ، ص ٣٩٢.

Arie R.:L'Espagne Musulmane, p.159.

(١٠٣) أحمد محمد الطوخى : مظاهر الحضارة فى الأندلس ، ص ٢١٩.

(١٠٤) المرجع نفسه ، ص ٢١٩-٢٢٠.

(١٠٥) الجفن : والجمع أجفان ، سفينة حربية وتجارية . ما كان يستخدم منها فى الحروب يسمى الأجفان الغزوية . وما كان يستخدم فى النقل منها يسمى الأجفان التجارية . انظر : المقرى : نفح الطيب، جـ ٧، ص ٦٧؛ محمد ياسين الحموى : الأسطول العربي- مطبعة الترقى ، دمشق، ١٩٤٥، ص ٤٤ .

(١٠٦) ابن بطوطة : رحلة ابن بطوطة ، ص ٦٦٩.

(١٠٧) أحمد محمد الطوخى : مظاهر الحضارة فى الأندلس ، ص ٢١٩.

(١٠٨) أحمد مختار العبادى: صور من حياة الحرب والجهاد فى الأندلس ، ص ٢٤٥.

(١٠٩) ابن الخطيب : الإحاطة ، جـ ١ ، ص ٥١٧ .

(١١٠) السيد عبد العزيز سالم : العمارة الإسلامية فى الأندلس وتطورها – مجلة عالم الفكر ، الكويت ، المجلد الثامن ، العدد الأول ، أبريل – مايو- يونيو ١٩٧٧م ص١٢٨-١٢٩.

(١١١) المرجع نفسه ،ص١٢٩.

(١١٢) أحمد مختار العبادى : صور من حياة الحرب والجهاد فى الأندلس، ص ٢٤٧.

(١١٣) السيد عبد العزيز سالم : أضواء على مشكلة تاريخ بناء أسوار اشبيلية فى العصر الإسلامى مجلة المعهد المصرى للدراسات الإسلامية بمدريد ، ١٩٧٥م، ص ١٥٢..

(١١٤) السيد عبد العزيز سالم : العمارة الإسلامية وتطورها فى الأندلس ، ص ١٢٨.

(١١٥) جيريلين دودز: فنون الأندلس–ضمن الحضارة العربية الإسلامية فى الأندلس، نشر الدكتورة سلمى الخضراء الجيوشى، ، دراسات الوحدة العربية، بيروت ، لبنان ، ١٩٩٨م، جـ ٢، ص ٨٨٥.

(١١٦) المرجع نفسه ، ص ٨٨٥–٨٨٦.

(١١٧) السيد عبد العزيز سالم : العمارة الإسلامية ، ص ١٢٨.

(١١٨) محمد أحمد أبو الفضل: المرية، ص ١٤٨.

(١١٩) المرجع نفسه ، ص ١٤٨–١٤٩.

(١٢٠) يوسف شكرى فرحات: غرناطة فى ظل بنى الأحمر، ص ١٨١–١٨٢.

(١٢١) المرجع نفسه ، ص ١٨١–١٨٢.

(١٢٢) ابن الخطيب: أعمال الأعلام، جـ٢، ص ١٩٢؛ المقرى: نفح الطيب، جـ١، ص ١٠١؛ السيد عبد العزيز سالم: تاريخ مدينة المرية الإسلامية، ص ١٢٥.

(١٢٣) محمد عبد الله عنان:الآثار الإسلامية،ص١٦٨.

(١٢٤) السيد عبد العزيز سالم : فى تاريخ وحضارة الإسلام فى الأندلس، ص ٢٤٢.

(٤) أرجذونة أو أرشذونة واسمها الحالى Arehidona ، وهو مشتق من الاسم القديم Esteleduna ، ومعناه معصرة الزيت. وهى مدينة تابعة لولاية مالقة. انظر: ابن الخطيب: معيار الاختيار ضمن مشاهدات، ص٩٤؛ الحميرى : الروض المعطار، ص ٢٥.

(١٢٦) ابن الخطيب: الإحاطة ، جـ ٢، ص ٥١–٥٢.

(١٢٧) يوسف شكرى فرحات : غرناطة فى ظل بنى الأحمر ، ص ١٨٩؛ محمد عبد الله عنان: الآثار الإسلامية ، ص ١٨٤؛ أولغ غرابار : نظرتان متضاربتان إلى الفن الإسلامى فى شبه الجزيرة الإسبانية – ضمن الحضارة العربية الإسلامية فى الأندلس ، نشر د. سلمى الخضراء الجيوشى ، لبنان، دراسات الوحدة العربية،١٩٩٨م،جـ ٢،ص٨٥٠–٨٥١.

(١٢٨) السيد عبد العزيز سالم : فى تاريخ وحضارة الإسلام فى الأندلس، ص ٢٤٢.

(١٢٩) محمد عبد الله عنان : الآثار الإسلامية ، ص٢٤٣–٢٤٤.

(١٣٠) السيد عبد العزيز سالم : فى تاريخ وحضارة الإسلام فى الأندلس ، ص ٢٤٢.

(١٣١) المرجع نفسه ، ص ٢٤٢ – ٢٤٣ ؛ محمد عبد الله عنان : الآثار الإسلامية ، ص ٢٤٦.

(١٣٢) محمد أحمد أبو الفضل: المرية ، ص١٤٢–١٤٣.

(١٣٣)الحميرى : الروض المعطار، ص ١٨١؛ المقرى : نفح الطيب، جـ ١، ص ١٥٣؛ السيد عبد العزيز سالم : فى تاريخ وحضارة الإسلام فى الأندلس ، ص ٢٤٠.

(١٣٤) نفس المرجع والصفحة .

(١٣٥) محمد عبد الله عنان : الآثار الإسلامية ، ص ٢١٦.